أول مسرحيات
فاني – برنارد شو

الحقوق كافة
محفوظة
لاتحاد الكتاب العرب

البريد الإلكتروني

E-mail: unecriv@net.sy
aru@net.sy

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت
http://www.awu.sy

الإخراج الفني: وفاء الساطي

حسين تقي سنبلي

أول مسرحيات
فاني – برنارد شو

منشورات اتحاد الكتاب العرب
دمشق

سلسلة الترجمة (4)
2019

شَخْصِيَّات المسرحيَّة الرَّئيسيَّة

الكونت أَوْدَوْدا (والد فاني)	Count O'Dowda
فاني (مؤلّفة المسرحيَّة)	Fanny
ساڤويارد (مدير الفرقة الموسيقيّة)	Savoyard
السَّيِّد تروتر (ناقدٌ مسرحيٌّ)	Mr. Trotter
السَّيِّد ڤون (ناقدٌ مسرحيٌّ)	Mr. Vaughan
السَّيِّد غِيلبرت غَنّ (ناقدٌ مسرحيٌّ)	Mr. Gilbert Gunn
السَّيِّد بانَل (ناقدٌ مسرحيٌّ)	Mr. Bannal
الخادم	Footman

شَخْصِيّات مَسْرَحِيَّةْ فَانِي

السَّيِّد روبن غِلبي (والد بوبي)	Mr. Robin Gilbey
السَّيِّدة ماريا غِلبي (عقيلة السَّيِّد روبن)	Mrs. Maria Gilbey
دجَغنز (الخادم)	Juggins
دورا دِلاني (صديقة بوبي)	Miss. Dora Delany
السَّيِّد نوكس (صديق آل غِلبي)	Mr. Knox
السَّيِّدة نوكس (زوجته)	Mrs. Knox
الآنسة مارغريت (ابنتهما)	Margaret
السَّيِّد دوڤاليه (صديق مارغريت)	Monsieur Duvallet

تصدير المسرحيَّة

نهاية بهوٍ في منزلٍ ريفيٍّ قديمٍ مفصولة بستارةٍ ليكون مسرحاً لعرضٍ مسرحيٍّ خاصٍّ. يدخل خادمٌ من جانب السّتارة الأيمن وإلى أمامها، وهو يتزيّا بزيٍّ إسبانيٍّ فخمٍ.

الخادم: (**معلناً**) السَّيِّد سِيسيل ساڤويارد! (**يدخل سيسيل ساڤويارد، هو رجلٌ متوسط العمر يلبس ثوباً للسهرة ومعطفاً بخطوطٍ مفرَّاةٍ، فلمَّا دخلَ دهش لأنَّه لم يرَ أحداً في استقباله، وكذلك الخادم دهش**). العذرُ منكَ يا سيِّدي!! ظننتُ أنَّ الكونت هنا.. كان هنا عندما أخبرته بقدومكَ، ولا بدَّ من أنَّه ذهب إلى المكتبة عبر المسرح.. تفضَّل من هنا يا سيِّدي! (**يتقدَّم إلى الفسحة بين السَّتائر**).

ساڤويارد: لحظةً من فضلك! (**يتوقف الخادم**) متى تبدأ المسرحيَّة؟ في الثامنة والنصف؟

الخادم: بل في التاسعة يا سيِّدي.

ساڤويارد : جيد.. حسناً! أتتفضَّل عليَّ وتتصل بزوجتي في فندق جورج وتخبرها أنَّ المسرحيَّة لن تبدأ حتَّى التاسعة؟

الخادم: سمعاً وطاعةً يا سيِّدي! هل هي السَّيِّدة ساڤويارد؟

ساڤويارد : لا ، بل السَّيِّدة تينكلر، لا تنسَ!

الخادم: السَّيِّدة تينكلر يا سيِّدي.. حسناً **(يدخل الكونت من بين السَّتائر)** ها هو الكونت يا سيِّدي! **(يعلن)** السَّيِّد سِيسل ساڤويارد يا سيِّدي! **(ينسحب الخادم خارجاً)**.

الكونت أَوْدَوْدا : **(يتقدَّم رجلٌ وسيمٌ في الخمسين بمودةٍ، وهو يلبس لباساً قديماً جدّاً، ثمَّ يصافح ضيفه)**

باللّه عليكَ أنْ تعذرني يا سيِّد ساڤويارد!! خَطَرَ لي أنَّ كلّ خزائن الكتب مقفلة، والحقّ أنَّنا لم نفتحها منذ قدمنا من البندقيّة، ولعلَّ ضيوفنا الأدباء يحبّون الكتب محبةً كبيرةً، لذا أسرعتُ وفتحتها جميعاً.

ساڤويارد : تقصد نقَّاد المسرح!.. فهمت. أفترضُ أنَّ في المكان غرفةً للتدخين.

الكونت: مكتبي متاحٌ لهذا؛ فالمنزل قديمٌ كما ترى.. تفضَّل بالجلوس!

ساڤويارد: شكراً! (**يجلسان. يتابع ساڤويارد كلامه وهو ينظر إلى زيّ مضيفه القديم**) لم أكن أعلم أنَّك ستمثّل في المسرحيَّة.

الكونت: لن أفعل، أنا ألبس هذا اللِّباس لأنَّه.. حسناً، ربما الأفضل أنْ أبيِّن لكَ مكانتي الاجتماعيّة إنْ كان ذلك يهمّكَ.

ساڤويارد: طبعاً!

الكونت: أنا غريبٌ في عالمكَ يا سيِّد ساڤويارد، وأنا لستُ رجلاً عصريّاً البتّة، وأحمد الله على ذلك! وفي الحقيقة لستُ إنكليزيّاً؛ فعائلتي من جذور إيرلنديّة، وعشتُ طوال حياتي في إيطالية، وفي البندقية في معظم الوقت. لقبي لقبٌ أجنبيٌّ، فأنا كونتٌ في الإمبراطوريّة الرّومانيّة المقدَّسة.

ساڤويارد: وأين ذلك؟

الكونت: في ذاكرتي ومخيلتي حالياً. (**يومئ ساڤويارد برأسه احتراماً لمخيلته**) بَيْدَ أنَّي لا أجنح بخيالي، فأنا لا أرضى بالأحلام الجميلة، بل أرغب في الحقائق الجميلة.

ساڤويارد: اللّه.. اللّه!! أنا مؤيدكَ حين تحصل عليها.

الكونت: ولِمَ لا أحصل عليها؟! فليست المشكلة في أنَّ الحقائق الجميلة معدومة، إنَّما المشكلة يا سيِّدي أنَّ بعضنا يجهلها حين يراها. أورثنا الماضي كنزاً هائلاً من الجمال روائع الشّعر الخالدة، والتصاوير الرّائدة، والنحت، والعمارة، والموسيقا، والرِّياش[1]، والأثاث، والزَّخرفة المنزليّة. ويمكننا أنْ نتفكَّر في هذه الكنوز، وأنْ نحيي كثيراً منها، ونشتري الأصليَّ منها، ونقصي عنَّا القرن التَّاسع عشر.

ساڤويارد: **(يصحّح له)** بل العشرين.

الكونت: بالنسبة إليَّ فإنَّ القرن الَّذي سأقصيه هو التَّاسع عشر دائماً، كما الحال في نشيدكم الوطنيّ، فهو دائماً «**ليحمِ اللّه الملكة!**»[2] بغضّ النَّظر عمَّن يعتلي العرش من الملوك. وجدتُ إنكلترة تلوَّثت بالنّظام الاقتصاديّ الصّناعيّ، ففعلتُ ما فعله بايرون، ورفضتُ

---

[1] اللّباس الفاخر. (المترجم).

[2] God Save the Queen!. (المترجم).

العيش فيه.. أنتَ تذكر كلمات بايرون حين قال «أنا على يقينٍ من أنَّ عظامي لن ترقد بسلامٍ في قبرٍ إنكليزيٍّ، وأن يختلط رفاتي بتراب هذا البلد. أعتقد أنَّ ما يدفعني إلى الجنون وأنا على فراش الموت أنْ يكون أصدقائي على قدرٍ من الوضاعة والحقارة فيرجعون جثَّتي إلى تربتها الأولى، وإنْ استطعتُ سأمنع ديدانها من أن تأكل من جسدي».

ساڤويارد: أقال بايرون هذا؟

الكونت: أجل يا سيِّدي!

ساڤويارد: لا يبدو لي أنَّ القول قوله؛ فأنا شاهدتُ عدداً لا بأس به من أعماله.

الكونت: أنت!؟ أيعقل هذا!؟ فأنتَ صغير السّنّ!!

ساڤويارد: طبعاً كنتُ شابَّاً حينها، لكنَّني ساهمتُ في إنتاج مسرحيته (صبياننا)[1].

---

(1) Our Boys مسرحيّةٌ كوميديّةٌ من ثلاثة فصول كتبها المسرحيّ الإنكليزيّ هنري جيمس بايرون (Henry James Byron). مُثِّلَت ==

الكونت: أنا لا أقصدُ ذاك يا سيِّدي العزيز، بل اللُّورد بايرون الشَّاعر.

ساڤوياردِ: أوه!! المعذرة منكَ! ظننتُ أنَّكَ تتحدث عن ذاك.. إذن أتفضّل العيش خارجاً؟

الكونت: رأيتُ إنكلترة بلداً قبيحاً تملؤه الماديّة، ولا أراني أعيش فيه، ورأيتُ بيوته العصريّة قبيحةً، ولا أراني أقطن فيها؛ فلي قصرٌ عند القناة الكبرى[1]، ووجدتُ الثياب العصريّة لا ترضيني، فلا أراني ألبسها إلاَّ في الشَّارع طبعاً، ورأيتُ لهجة أهل لندن تمجّها أذناي، فلا أراني أستمعُ إليها، فأظلُّ أتكلّم الإيطاليّة وأستمع إليها. ووجدتُ موسيقا بيتهوڤن رديئةً

أول مرّة على مسرح ڤودي‌ڤايل Vaudeville في سنة 1875، وكانت مسرحيةً خفيفة الظلّ مَثَّلَت 1362 مرّةً حتَّى سنة 1879. أمَّا هنري جيمس بايرون (1835 -1884) فهو مسرحيٌّ، وروائيٌّ، وصحافيٌّ، ومخرجٌ مسرحيٌّ، وممثّلٌ، وهو ابن هنري بايرون (1804 -1884) من أبناء عمومة الشَّاعر الكبير - والَّذي يقصده الكونت في كلامه - اللُّورد بايرون الأباعد. (المترجم).

(1) grand canal القناة الرئيسيّة لمدينة البندقيّة، على جانبيها قصورٌ من رخامٍ. (المترجم).

مضجرةً، وكذا موسيقا ڤاغنر فارغةً مقيتةً، فما استمعتُ إليها قطّ، بل استمعتُ إلى برغوليزي، وغلوك، وموزارت[1]؛ فموسيقاهم يا سيِّدي لا أعذب ولا أرقُّ.

ساڤويارد: لا بأس إنْ كنتَ تتحمّلها.

الكونت: أتحمّلها!! يا سيِّدي العزيز، إنْ كنتَ رجلاً يحسُّ الجمال ويتذوقه يمكنكَ عندها أنْ توجِد جنّتكَ على الأرض في البندقية بمبلغ 1500 جنيهاً في السنة، في حين أنَّ أصحاب الثَّراء الصَّناعيّين السّوقة لدينا ينفقون 1000 جنيهٍ على متعتهم في لعبة البليارد. تيقَّن من أنَّني فقيرٌ وفقاً للأفكار الحديثة، لكنَّني حصلتُ على أفضل ما منحته الحياة؛ فلي ابنةٌ لطيفةٌ جميلةٌ والحمد لله! وتلك الفتاة يا سيِّدي لم ترَ قطّ منظراً منفراً، ولا سمعت صوتاً مؤذياً، ولم تلبس من غير ريبٍ ثوباً قبيحاً، ولا تذوَّقت طعاماً خشناً، ولا شرِبتْ شراباً مزَّاً.

---

[1] جيوفاني باتيستا برغوليزي مؤلّفٌ موسيقيٌّ إيطاليٌّ. كريستوف ويليبولد غلوك مؤلّفٌ موسيقيٌّ ومسرحيٌّ جرمانيّ (ألمانيّ). أمَّا موزارت فغنيٌّ عن التعريف. (المترجم).

عاشت حياتها في قصر، وكانت عربتها جندولاً. أنتَ تعرف الآن من أيّ صنفٍ من النَّاس نحن يا سيِّدي، ومن أيّ جبلةٍ جُبلنا، فيمكنكَ أنْ تتخيَّل شعورنا هنا.

ساڤويارد: إنَّكم لا تنتمون إليه، أليس كذلك؟

الكونت: لا ننتمي إليه!! لا ننتمي إلى ماذا؟

ساڤويارد: لا تنتمون إلى المكان كلّه.

الكونت: بل لا ننتمي إلى السّخام، والضّباب، والطّين، والريح الشّرقيّة[1]، ولا ننتمي إلى النّفاق والطمع، ولا إلى الفظاظة والبشاعة، ولا الطِّيرة والحماقة. نحن لا ننتمي إلى كلّ هذا، بل ننتمي إلى الشَّمس المضيئة في الأصقاع المسحورة؛ حيث لا يملك سرّ الوجود وعظمته غير العِظام والأفذاذ من أمثال بايرون، وشيللي، وبراوننغ، وتِرنر، وراسكين[2].. ألا تحسدني على هذا يا سيِّد ساڤويارد!؟

---

(1) الريح الشرقيّة في الثقافة الإنكليزية رمزٌ للتغيير والشرّ. (المترجم).

(2) من شعراء الطَّبيعة الأفذاذ، يرون في الطبيعة ملاذاً وخلاصاً وقرباً من الخالق، وفي المدينة ضياعاً ومضيعةً وبعداً عن الخالق. (المترجم).

ساڤويارد: لا بدّ لبعضنا من أنْ يعيش في إنكلترة، حتَّى يبقى المكان زاخراً بالحياة فحسب. وبالإضافة إلى ذلك فإنَّ ثلاثة أسابيع من هذه الحياة لتدفعني إلى الجنون، ولا تفهم من كلامي أنَّه لا بأس في ذلك.. وعلى كلّ حالٍ فأنا سعيدٌ لأنَّكَ أخبرتني؛ لأنَّ هذا يفسّر جهلكَ لأشياء كثيرة في إنكلترة.. وبالمناسبة، فأنا آمل أنْ ترضى ابنتكَ بهذا.

الكونت: أظنُّ أنَّها راضيةٌ قانعةٌ، فقد أخبرتني أنَّ الممثلين الَّذين أرسَلَتهم يناسبون أدوارهم أشدَّ المناسبة، وهم أناسٌ لطفاءٌ تعمل معهم، وفهمتُ منها لاقت بعض الصعوبات في التجارب المسرحيَّة الأولى مع المحترم الَّذي سمَّته المنتج؛ لأنَّه لم يقرأ المسرحيَّة، غير انَّه ما أنْ عرف غايتها حتَّى سار كلّ شيءٍ على ما يرام.

ساڤويارد: ألم تشاهد التجارب المسرحيَّة؟

الكونت: لا، فلم تسنح لي الفرصة لأقابل الممثلين، وكلّ ما أستطيع أنْ أقول إنَّ بطل المسرحيَّة رجلٌ فرنسيٌّ (**يُدهش ساڤويارد قليلاً**)، فأنا طلبتُ منها ألاَّ تجعل في المسرحيَّة بطلاً

إنكليزيّاً.. هذا كلّ ما أعرفه (**بحزن**) لم يسألوني عن رأيي في الأزياء، لربما أفدتُهم.

ساڤويارد: (**بحيرة**) ولكن لا أزياء.

الكونت: (**بدهشةٍ كبيرةٍ**) ماذا؟! لا أزياء؟! أتقصد أنْ تقول إنَّها مسرحيةٌ عصريّةٌ؟

ساڤويارد: لا أعرف! فأنا لم أقرأها، كنتُ سلّمتُها إلى المنتج بيلي بيرجويس[1]، وتركتُ له حرية اختيار الشّركاء وما إلى ذلك، ووجَبَ عليَّ أنْ أطلب الأزياء إنْ وجدت.. ولكن لا أزياء.

الكونت: (**يبتسم حين يثوب إلى رشده**) فهمت!.. تكفَّلَت هي بالأزياء، فهي خبيرةٌ بالأزياء الجميلة، سأتجرَّأ وأعدكَ يا سيِّد ساڤويارد أنَّ ما ستراه سيشابه لوحة لويس كواتوريز الَّتي رسمها واطو[2]، وستكون البطلة كولومباين،

---

(1) - Billy Burjoyce. (المترجم).

(2) أنطوان واطو Antoine Watteau (1684 -1721) رسّامٌ فرنسيٌّ طوَّر أسلوباً عماريّاً عُرف بالروكوكو، يرتدي الرِّجال والنساء في أعماله ملابس أنيقة من السّاتان والحرير اللامع، ويرقصون ويتحادثون ويعزفون الموسيقا. (المترجم).

وحبيبها هارلكين الجميل، ووالدها بنتالون الوسيم القسيم، والخادم الَّذي يخاتل الوالد ويجلب السّعادة للحبيبين فيكون بهذا بنشينِللو، أو مَاسْكارِيل، أو ساناريل الفطن الذكي[1].

ساڤوياردِ: فهمت.. وهذا يجعل الرِّجال ثلاثة، ومع المهرج والشرطي يكون المجموع خمسة، ولهذا السبب أردتُ خمسة رجال في الشركة.

الكونت: يا سيِّدي العزيز.. أنا لا أعني تلك المسرحيَّة الإيمائيّة السّوقية، والبشعة، والسّخيفة، والتافهة.. ذلك العرض الحقير الهدَّام.. تلك المسرحيِّات الإيمائيّة الَّتي شاعت في القرن العشرين في أثناء أعياد الميلاد في إنكلترة! فهي ليست غير محاولة غبية لتقليد المسرحيَّة الناجحة الَّتي قدّمها غريمالدي[2] العبقري منذ

---

(1) جميع الأشخاص الَّذين ذكرهم الكونت أبطال مسرح العرائس في إيطالية. (المترجم).

(2) يوسف غريمالدي Joseph Grimaldi (1778 -1837) مهرجٌ إنكليزيٌّ وممثلٌ إيمائيٌّ. قدَّم آخر عرضٍ له في سنة 1828 وهو في ==

سنة ونصف!! تجهل ابنتي وجود شيءٍ كهذا.. أنا أشير إلى روائع المسرح الإيطاليّ والفرنسيّ في القرنين السّابع عشر والثامن عشر.

ساڤوياردِ: أوه! العذر منك! أنا أتفق معكَ أنَّ هذه المسرحيِّات الإيمائيّة ليست مقصدكَ؛ لأنَّها لم تُمَثَّل فوق أي مسرحٍ من المسارح الكبيرة، ولكن ممَّا قاله لي المنتج كوَّنتُ فكرة أنَّ ابنتكَ تعرف المكان وشاهدت الكثير من المسرحيِّات، وهو لا يعرف قطّ أنَّها كانت في البندقية كلّ هذا الوقت.

الكونت: كان يجب عليَّ أنْ أشرح لكَ أنَّ ابنتي غادرتني لتكمل دراستها في كامبريدج، وكامبريدج هي الجامعة الوحيدة الَّتي أعترف بها، ومع أنَّ الجامعات كانت تخلو من النساء وثقتُ أنَّ روح القرن الثامن عشر – إنْ كانت ما تزال في مكانٍ في إنكلترة – فهي في كامبردج. راسلتني منذ ثلاثة شهور مضت، وسألتني إنْ

ذروة نجاحه، ويُعَدُّ أعظم ممثلٍ فكاهيّ عرفته إنكلترة، شيَّعه تشارلز ديكنز في سنة 1838. (المترجم).

كنتُ سأهديها شيئاً في عيد ميلادها القادم، فقلتُ لها نعم طبعاً، ومن ثمَّ فاجأتني وأثلجت فؤادي حين أخبرتني أنَّها ألَّفت مسرحيةً، وأنَّ الهدية الَّتي تريدها أنْ يكون العرض خاصاً بممثلين حقيقين ونقَّاد حقيقين.

ساڤويارد: نعم، وهذا ما أذهلني. من السّهل أنْ تقنع شركة بمثل هذا العرض، ولكنَّ فكرة حضور نقَّادٍ لها هي الشيء الجديد، حتَّى أنَّني لا أعرف كيف أرتّب أمر قدومهم؛ فهم لا يتوقّعون عرضاً خاصّاً، إضافةً إلى ذلك فأنا أجهل العرض الَّذي سأعرضه عليهم. أعرف أنَّهم أرخص أجرةً من الممثلين؛ إذْ أنَّهم يتلقّون عروضاً تستمر أربعين سنةً أحياناً، ولكنَّ هذا ليس معياراً للعروض الخاصّة، ثمَّ أنَّهم كُثر، فما يكاد العرض يبدأ في أوّل أيامه حتَّى تراهم شغلوا المقاعد الأمامية جميعها، فلا تجد مكاناً مناسباً لوالدتكَ، وسيكلّفكَ جلبهم جميعاً ثروةً.

الكونت: أنا لم أحلم بدعوتهم جميعاً طبعاً، بل القلّة المميزة من أساتذتهم.

ساڤويارد: هكذا إذن! تريد بضعة آراءٍ من أميزهم.. لن تجد من بين مئات الملاحظات ما يزيد عن أربعٍ تتطابق، وعلى كلّ حال سأجلب لكَ الأربعة الَّذين تريد، وكم سيكلّفني هذا برأيكَ؟

الكونت: **(يهزّ كتفيه)** لا أعلم.

ساڤويارد: عشرة جنيهات مع النّفقات؛ فقد دفعتُ لفلونر بائل عشرة جنيهات، فهو لا يرضى بأقلّ من هذا، كان طلب خمسة عشر جنيهاً من قبل، فدفعتُ له؛ لأنّنا إنْ لم نجعله إلى صفّنا فلن يحضر أحد على الإطلاق.

الكونت ولكن، ماذا عن الآخرين؟ وإنْ حصل السَّيِّد فلانل على...

ساڤويارد: **(باندهاش)** فلونر بائل!

الكونت: وإنْ حصل السَّيِّد بائل على أجره كاملاً!؟

ساڤويارد: تدبَّرتُ هذا، ولمَّا كان أجره هو الأعلى فإنَّ أول رجلٍ أردتُ قدومه هو تروتر.

الكونت: أفرحتني أنَّكَ ضمنتَ قدوم السَّيِّد تروتر! فأنا قرأتُ انطباعاته الهزليّة.

ساڤويارد: حسناً، كنتُ أخشاه نوعاً ما؛ فهو من

الأشـخاص الَّـذين لا يمكـن الوصـول إلـيهم بسهولةٍ، وعـلاوةً على ذلك كـان أبدى رفضه أوَّل الأمـر، فلمَّـا شـرحتُ لـه وأفهمتـه رغبـةَ ابنتكَ...

الكونت: (**يقاطعه مذعوراً**) أرجو ألاَّ تكون أخبرته أنَّ المسرحيَّة من تأليف ابنتي!!

ساڤوياردِ: لا، فهذا سرٌّ دفينٌ، غير أنَّي أخبرته أنَّ ابنتكَ طلبت عرضَ مسرحيةٍ حقيقيّةٍ كاتبها مؤلّفٌ حقيقيٌ، وينقدها ناقدٌ حقيقيٌّ وإلى ما هنالك، وفي اللحظة الَّتي ذكرتُ فيها الابنة أصبح طوع بناني؛ لأنَّ لديه ابنة، وكان يَقْبَلُ أيّ شيءٍ ليرضيها.. هذا رجلٌ تعمر قلبه الإنسانيّة.. تفاجأتُ به حقّاً.

الكونت: يا لقلبه الحنون ورقّته الزّائدة!

ساڤوياردِ: سأقصد إذن ڤون؛ لأنَّه موسيقيٌّ ومسرحيٌّ، ولأنَّكَ قلتَ أنَّ العرض قد يتخلّله الموسيقا. كنتُ أخبرتُه أنَّ تروتر سيشعر بالوحدة من دونه، فوعدني وعداً قاطعاً بأنْ يأتي. ثمَّ فكَّرتُ بأنَّكَ قد ترغب بأحد أولئك الشّبّان الَّذين يتعهدون الجديد وينكرون القديم،

فأثْبَتُ اسم غيلبرت غَنْ، وهؤلاء الأربعة سيمثلونكَ.. وبالمناسبة (**ينظر إلى ساعته**) سيحضرون عمَّا قريب.

الكونت: أيمكنكَ يا سيِّد ساڤويارد - وقبل أنْ يأتوا - أنْ تعطيني فكرةً عنهم لأعرف كيف أحادثهم؟ فأنا غريبٌ عن إنكلترة كما قلتَ، وربما أقول شيئاً يسيء إليهم.

ساڤويارد: حسناً، دعني أتفكَّر قليلاً.. لمَّا كنتَ لا تحب الشّعب الإنكليزيّ فلستُ أدري إنْ كنتَ ستتفق مع تروتر؛ لأنَّه إنكليزيٌّ قلباً وقالباً، وهو رجلٌ تغمره السّعادة إلاَّ عندما يذهب إلى باريس، فما أنْ يفتح فمه حتَّى يتلعثم، فيدرك الجميع أنَّه إنكليزيّ. يتظارف ويتفكَّه، ويدّعي إنكار ما يقوله النَّاس في المسرح، ويستهجن هرجهم في الفن. (يغضب الكونت غضباً شديداً) لكنَّ هذا تواضعٌ منه؛ لأنَّ الفنّ من اختصاصه.. وتذكَّر ألاَّ تمازحه بخصوص أرسطو.

الكونت: ولِمَ أفعل؟!

ساڤويارد: لا أدري، لكنَّ النَّاس تمازحه بهذه المزحة.

لكنَّكَ على كلّ حال ستتفق معه؛ لأنَّه رجل دنيا وعقل، أمَّا الرجل الَّذي يجب أن تخشاه فهو ڤون.

الكونت: ولِمَ؟ إنْ سمحتَ لي بالسؤال!

ساڤويارد: لأنَّه سمجٌ، وإنْ مازحته فسيظنّ أنَّكَ تهينه عامداً، وليس ذلك لأنَّه لا يفهم المزاح، بل العكس، هو يفهمه، لكنَّ المزحة تؤذيه، والمشاهد المضحكة تثير حفيظته، فيزبد ويربد، ويحطُّ من قدر المسرحيَّة.

الكونت: لكنَّ هذا من غير ريبٍ نقيصةً في رجلٍ يمتهن مهنته.

ساڤويارد: أجل، أصبت.. لكنّه رجلٌ صافي السَّريرة، يرسل كلامه من دون تحفّظٍ أو رقابة، ولا يهتمّ إنْ أسعد كلامه النَّاس أم لا، وعليكَ أنْ تبقي على رجلٍ مثله فيقول لكَ ما لا يجرؤ غيره على قوله.

الكونت: أرى أنَّه متشدّدٌ في عمله، ومغالٍ في تشدّده، وهذا ما يقصي صفاء السّريرة، ويطمس صفاته الأُخر.. أتسمح لي أنْ أسأل ما الَّذي يميّز غَنْ؟

ساڤويارد: هو أحد المفكّرين.

الكونت: ولكن أليسوا جميعاً مفكّرين؟

ساڤويارد: لا، حاشا للّه! حذار! فأنا أمقت من يناديني مفكّراً، ولا أظنّ أنَّ أيّ إنكليزيّ آخر يحبّ ذلك. غَنْ مفكّرٌ شابٌّ، ومؤلّفٌ مسرحيٌّ، ومفيدٌ لأنَّه يحطّ من قدر المفكرين الأسنّ منه الَّذين يقفون في طريقه، وأمثاله لا يهتمون لذلك قطّ. إنَّ فلونر بائل هو رجلكَ؛ فهو يمثّل بحق محبّي المسرح الإنكليز، وحين يحبّ شيئاً سيحب مائة ألف لندنيّ ما أحبّه، وعلاوةً على ذلك فإنَّ معرفته بالمسرح وشؤونه معرفةً وثيقةً، فهو يعرف عمَّا يتحدث، ونحن نعرفه وهو يعرفنا.

الكونت: (**يتثاءب**) وسبب ذلك سنّه وخبرته على ما أظن!

ساڤويارد: سنّه! يخبرني ظاهره أنَّه في العشرينيّات، وفوق ذلك ليس النَّقد من عمل الشّيوخ، أليس كذلك؟ لا يرتقي بائل إلى منزلة تروتر الأدبيّة وبقية المجموعة، لكنّني أعتمد رأيه قبل أي رأيٍ آخر في لندن، فهو رجلٌ خبيرٌ عارفٌ، وهذا ما تريد.

الكونت: يكاد يغمرني شعور بالأسف لأنَّكَ لم تعطه حقّه كاملاً، ولن أضن عليه بخمسين جنيهاً مقابل رأيٍ سديدٍ سليمٍ، فربما يشعر الآن بأنّنا أسأنا إليه.

ساڤويارد: وإنْ يكن، فليس له أنْ يطلب خمسين جنيهاً، فهو صحافيّ ليس إلاّ، يسعده أنْ يكسب عشرة جنيهات، وهو يقوم بالعمل نفسه مقابل نصف المبلغ كما أظنّ.

(تظهر فاني أَوْدَوْدا من بين السّتائر مضطربةً. هي شابةٌ في العشرينيّات في ثياب تتوافق وثياب والدها).

فاني: أبي! أبي! جاء النقَّاد.. يعتمر أحدهم قبعةً مردودةً، وفي يده سيف مثل... **(تلاحظ ساڤويارد)** أوه! العذر منكَ!

الكونت: أقدّم لكِ يا عزيزتي السَّيِّد ساڤويارد مدير فرقتكِ الموسيقيّة.

فاني: مرحباً بكَ!

ساڤويارد: سررتُ بلقائكِ يا آنسة! لا بأس بالقبعة المردودة؛ لأنَّ تروتر عضوٌ في الجمعيّة العلميّة،

وهو يحث أعضاء جمعيته على أنْ يلبسوا لباساً موحداً مثل لباس أعضاء الجمعية الفرنسيّة، فطلبتُ منه أنْ يعتمرها.

الخادم: (**معلناً**) السَّيِّد تروتر، والسَّيِّد ڤون، والسَّيِّد غَن، والسَّيِّد فلونر بائل. (**يدخل الأربعة يلبس تروتر زيًّاً رسميّاً وبيده سيف، ويعتمر قبعةً مردودةً لها أربعة حواف، هو في الخمسين تقريباً، وڤون في الأربعين، وغَنّ في الثلاثين، أمَّا فلونر بائل ففي العشرينيات، ويختلف عن الآخرين اختلافاً تامّاً. يصنّفهم النَّاظر إليهم على أنَّهم خبراء في مهنتهم، ومن الواضح أنَّ بائل من الصنف العاطل عن العمل، الَّذين يتدبّرون قوت يومهم بضربٍ من ضروب الشّجاعة الَّتي تعطيه البهجة، والمرح، والحيوية، ويساعده إيجابيّاً على ذلك شيءٌ من مَلَكَة الكتابة، وسلبيّاً جهلٌ مريحٌ وانعدامٌ للبديهة الَّتي تحجب عنه الأخطار والمذلاّت الضّابطة للرجال ذوي الإدراك المرهف. يرحب بهم الكونت ويؤهّل**).

ساڤويارد: أعرّفكم أيّها السَّادة إلى الكونت أَوْدَوْدا..

السَّيِّد تروتر!

تروتر: (**ينظر إلى زيّ الكونت**) هل تشرَّفتُ بمقابلة زميلٍ لنا في الحرفة؟

الكونت: لا يا سيِّدي، فلا حقَّ لي على لباسي إلاّ حقُّ محبٍّ للفن شاء أنْ يتأنَّق في ملبسه.. أهلاً بكَ يا سيِّد تروتر ومرحباً! (**ينحني تروتر انحناءة الفرنسيِّين**).

ساڤويارد: السَّيِّد ڤون!

الكونت: كيف حالكَ يا سيِّدي؟!

ڤون: بخيرٍ، شكراً لكَ!

ساڤويارد: السَّيِّد غَنْ!

الكونت: سررتُ بمعرفتكَ يا سيِّدي!

غَن: تشرَّفتُ!

ساڤويارد: السَّيِّد فلونر بائل!

الكونت: شكراً لكَ يا سيِّدي على حضوركَ!

بائل: لا شكر على واجب!

الكونت: هذه بنيتي أيّها السَّادة! (**ينحني الجميع**) نحن مدينان لكم يا سادة لأنَّكم وافقتم هواها.

(يُدقُّ جرس التحضّر للعشاء[1]. ينظر الكونت إلى ساعته) آه! جرس الطَّعام دُقَّ أيّها السَّادة، ولمَّا كان موعد مسرحيتنا التاسعة، فقد سبَّقتُ العشاء ساعةً.. ألا أدلَّكم إلى غرفكم؟ **(يخرج، ويتبعه الرِّجال، ما عدا تروتر الَّذي توقفه فاني وهو يُخرج آخر الرِّجال)**.

فاني: أريد أن أخبركَ شيئاً عن المسرحيَّة يا سيِّد تورتر.

تروتر: لا! فهذا ممنوعٌ! يجب ألاَّ تحاولي تملَّق النَّاقد.

فاني: معاذ اللّه أنْ أفعل!

تروتر: بل تفعلين، دُعيتُ إلى هذا البيت الجميل، حيث سأستمتعُ بعشاءٍ شهيٍّ، فتطلبني امرأةٌ جميلةٌ إلى جنبٍ لتحدثني بأمر المسرحيَّة، فكيف تتوقعين منّي النزاهة؟ معاذ اللّه أنْ أُعيَّن حكماً فلا أكتب ما أراه! غير أنَّ ما أراه قد يتأثّر بما حوله، وأنتِ هنا تؤثّرين فيه بوقاحةٍ طيلة الوقت.

---

(1) dressing bell: جرسٌ يُدَقُ لإعلام الحاضرين أن يتحضّروا للعشاء فيلبسوا ثيابهم. (المترجم).

فاني: لا تزد من اضطرابي يا سيِّدي، فلو تعرف حالي!

تروتر: أمرٌ طبيعيٌّ؛ فهذه أولى حفلاتكِ، وأول ظهور لكِ مضيفةً في إنكلترة، لكنكِ تبلين بلاءً حسناً، وكلّ دقيقةٍ[1] في المسرحيَّة على خير ما يرام، فلا بأس عليكِ!

فاني: لطفٌ منكَ يا سيِّدي أنْ تقول هذا! ولكن ليس هذا ما يقلقني، وفي الحقيقة المسرحيَّة ستصدم والدي صدمةً عظيمةً.

تروتر: ليس فيما تقولين غرابة، لأنَّ نصف فتيات لندن يمضين الليالي يصحبن أباءهن إلى مسرحيِّات لا تناسب الكبار.

فاني: أعرفُ هذا طبعاً، لكنَّكَ لا تدرك ما تعنيه المسرحيَّة لأبي، فأنت لست بريئاً مثله.

تروتر: (**معترضاً**) يا سيِّدتي الشّابة...!!

فاني: لا أعني براءة الخُلق؛ فكل من قرأ مقالاتكَ يدرك أنَّكَ بريءٌ كالحَمَل.

---

[1] الشيء القليل الَّذي لا يدرك الفرق فيه. (المترجم).

تروتر: ماذا!!

فاني: أجل يا سيِّدي، فقد اختبرتُ الحياة جيداً في إنكلترة منذ أتيتُ، وأقول لكَ قول الواثق إنَّكَ مجرّد طفلٍ؛ طفلٌ طيّبٌ، وصادقٌ، ولذيذٌ، وظريفٌ، وجميلٌ، لكنَّكَ ما تزال حَمَلاً في عالمٍ من الذِّئاب، فكامبردج الآن ليست كما كانت في عهد والدي.

تروتر: حسناً، أظنُّ ذلك.

فاني: وهذا أحد تصانيفنا في المجتمع الفابي في كامبردج.

تروتر: تصانيف!؟ لا أفهم!!

فاني: نحن نصنّف عمَّاتنا إلى عدّة أصناف، وأحدها صنف «أظنُّ ذلك».

تروتر: أتراجع عن قول «أظنُّ ذلك»، وأستبدل به قول: «ألق اللّوم على قططي»[1]، لا! بل أستبدله

---

[1] في الأصل Blame My Cats، وهو تعبير عاميّ أوجده - كما قيل - مارك توين في قصّته الشهيرة (توم سوير)، ويفيد التعجب، أو الامتعاض، ويمكن استبداله بأي تعبيرٍ آخر يفيد ==

بقولي «ألقِ اللّوم على هرري»، وانتبهي يا آنسة إلى كلمة «هرر»!، وأقول «هرهر» رغم أنف المجتمع الفابي في لندن بأجمعه! وهي هرهرٌ وقحةٌ متطاولةٌ، فألقوا اللّوم عليها واسحقوها! حزرتُ ما أضمرتِ في صدركِ؛ إنَّ مسرحيتكِ الَّتي تتملّقيننني من أجلها مسرحيةٌ من المسرحيِّات الَّتي يرشد فيها أعضاء المجتمع الفابي جدَّاتهم إلى فنّ حَلْبِ التَّيس[1]، وتخشين أنْ تصعق والدكِ، وأرجو من الله ذلك، وإنْ طلب مشورتي فسأنصحه بأنْ يصفعكِ بشدّةٍ، ثمَّ يأخذكِ إلى السّرير.

فاني: هذا من أجمل مواقفكَ الأدبيّة يا سيِّدي، لكنّني لن أنخدع، فأنا أعرف داخلتكَ أكثر منكَ، لأنَّنا ناقشنا حياتكَ وأدبكَ، وفصّلنا فيهما في كامبردج، في حين أنَّكَ لم تناقش حياتكَ من قبل، أليس كذلك؟

ذلك، غير أنني أبقيت ترجمته الحرفية، ليبان المعنى الَّذي يقصده تروتر بعد ذلك. (المترجم).

[1] في الأصل milking ducks (حلبُ البطّ)، وهو تعبيرٌ يفيد طلب المستحيل، ويقابله في العربيّة ما ترجمناه (حلبُ التَّيس). (المترجم).

تروتر: أنا...!!

فاني: بالطبع لم تفعل، فكما ترى لا تجوز هذه التروتريات[1] معي.

تروتر: التروتريات!!؟

فاني: هذا ما نقوله في كامبردج.

تروتر: لو لم يكن ذلك تعبيراً فنيّاً خالصاً لقلتُ «لعنة الله على كامبردج!»، فاللّوم على هريراتي.. اسمعيني الآن!! إنْ كنتِ ستنقلبين إلى فتاةٍ إنكليزيّةٍ فاتنةٍ فلعلَّكِ تثيرين حفيظتي، أمَّا إن كنتِ ستنقلبين إلى فحلٍ خنثى كمبرجيّة[2] فسأعاملكِ معاملة الندِّ الأدبيّ بالندِّ، كما أعامل الرِّجال.

فاني: (**بإعجاب**) ولكن يا سيِّدي ، ما أقلَّ أندادكَ من الأدباء!!

---

(1) trottering مصدرٌ نحتته فاني من الاسم تروتر، وتعني به ما كتبه السَّيِّد تروتر وألَّفه، ولنا في العربيّة الأصمعيّات، والمعريّات، والمفضّليّات، وفي وقتنا الرّاهن الرحبانيّات، والفيروزيّات...الخ. (المترجم).

(2) نحتٌ اصطنعتُه للتعبير عن النسبة إلى كامبردج. (المترجم).

تروتر: وسأُهزم أمام تلك القلّة شرَّ هزيمة.

فاني: لا! لِمَ تقول هذا!؟

تروتر: أذكّركِ بأنَّ جرس العشاء سيُدَقُّ قريباً.

فاني: وما المهم في هذا؟ فكلانا مستعدٌ.. لم أخبركَ بعد بما أريد أنْ تفعله من أجلي.

تروتر: ولا حتَّى لمّحتِ لي إلماحاً، اللهم غير ذكركِ لشهامتي الخالصة.. ماذا تريدين؟

فاني: لا ما نع عندي إنْ صدَمَت المسرحيَّة أبي عاطفيّاً، فمن المفيد له أنْ يُصدم عاطفيّاً؛ لأنَّ كلّ ما يفعله الصّغار هو صَدْمُ الكبار والحفاظ على حداثتهم، لكنَّ المسرحيَّة ستصدمه فنيّاً، وهذا ما يرعبني. لا يمكن لأيّ اعتباراتٍ خُلقيّة أنْ تصدع علاقتنا؛ لأنَّه سيغفر لي ذنبي عاجلاً أمْ آجلاً، أمَّا فيما يخصّ الفنّ فلا أقدر أنْ أجعله يتراجع عن رأيٍ من آرائه، فأنا لا أجرؤ على إخباره بأنَّني أحب بيتهوڤن أو ڤاغنر، ولو حصل وسمع قطعةً من معزوفةٍ لشتراوس لفرَّقنا هذا للأبد. ما أريدكَ أنْ تفعله هو أنْ تخبره - إنْ سَخَطَ عليَّ، أو كره المسرحيَّة لأنّها عصريّة - أنَّ الذّنب

ليس ذنبي، وأنَّ أسلوبها وبنيتها وما إلى هنالك يُعَدُّ اليوم قمَّة الفنّ، وأنَّ مؤلّفها كتبها كتابةً تناسب مسرح الدّخائر[1] في أفضل أشكالها، وأقصد أشكال المسرحيِّات.

تروتر: (**بحزمٍ**) أعتقد أنَّني أعرف الحفلات الترفيهيّة الَّتي تقصدين، ولكن أرجوكِ ألاَّ تطلقي عليها اسم مسرحيِّات! أنا لا أدَّعي الخبرة، لكنّني عرفتُ في الأقل أنَّ هذا الإنتاج ليست مسرحيِّات من غير ريب، ومهما كانت تسمياتها.

فاني: لا يقول كاتبها إنَّها كذلك.

تروتر: (**بلهفةٍ**) يلجأ صديقٌ لي - وأنا خجلٌ من تسميته صديق - إلى المواربة والحيلة مغبَّة الذَّم فيسميها أحاديث أو مناقشات، وما إلى هنالك من تسميات، لكنَّها حيلٌ لا تنطلي عليَّ. أقول إنَّها ليست مسرحيِّات، ويمكنكِ

---

(1) - repertory theater مسرحٌ تقدم فيه فرقة دائمة عدة مسرحيات في موسمٍ واحدٍ (بدلاً من مسرحيةٍ واحدةٍ يعاد تقديمها طيلة الموسم). (المترجم).

أنْ تسـميها محـاورات إنْ أردتِ، أو عرضـاً للخصـال، وخصوصـاً خصـال المؤلّـف، أو ربمـا نسميها رواياتٍ، مع تحفّظٍ في تقديم أشخاصٍ حقيقـيّين، فنخـرق بـذلك حرمـة خصوصـيات النَّاس، لكنَّ المسرحيَّة لا تفعل ذلك، وأقولها صـراحةً "لا تفعـل المسـرحيِّات ذلـك!"، فـإنْ لم تسلّمي بهذا فلن أستطيع المضي في الحديث معكِ، وأنا جادٌّ في كلامي، فالمسألة مسألة مبدأ. عليَّ أنْ أسألكِ يا آنستي قبل أنْ نتابع أتنتظرين إلى هذه الأعمال على أنَّها مسرحيِّات أمْ لا؟

فاني: تـيقَّن مـن أنّـي لا أنظـر إليهـا علـى أنَّهـا مسرحيِّات!

تروتر: ولا بأي شكلٍ من الأشكال؟

فاني: ولا بـأيّ شـكلٍ مـن الأشـكال؛ فنفسـي تعـاف المسرحيِّات.

تروتر: (**بخيبـة أمـل**) قـوَّضَ كلامـكِ الأخـير قيمـة اعترافكِ! أتعجبين بتلك الترهات الاستعراضية؟ أتستمتعين بها؟!

فاني: ألا تستمتع أنتَ بها؟

تروتر: طبعاً.. أتحسبينني غبياً؟! أتظنين أنَّني أفضّل الميلودراما الشَّعبيّة؟ ألم أكتب عنها أكثر الملاحظات فائدةً؟! لكنَّني أقول إنَّها ليست مسرحيِّات.. ليست مسرحيِّات، ولن أقبل أنْ أبقى في هذا المنزل دقيقةً أخرى إنْ كنتم ستخدعونني، وتقدّمون لي شبه مسرحية على أنَّها مسرحية حقَّة!

فاني: أقرُّ بأنَّها ليست مسرحيِّات.. كلّ ما أريده أنْ تخبر والدي بأنَّ تلك المسرحيِّات ليست مسرحيِّات في وقتنا الحاضر وفقاً لمفهومكَ.

تروتر: ها أنتِ تفعلينها ثانيةً! أتقولين وفقاً لمفهومي!؟ تعتقدين أنَّ نقدي ليس إلاَّ انطباعاً شخصيّاً، وأنَّ...

فاني: قلتَ دائماً إنّه كذلك.

تروتر: لو سمحتِ! ليس في الأمر، فلو كنتِ تعلّمتِ تعليماً تقليديّاً...

فاني: لكنَّني تعلَّمتُ تعليماً تقليديّاً.

تروتر: صهٍ!! أتقصدين كامبردج!؟ لو كنتِ تعلَّمتِ في أوكسفورد لعلمتِ أنَّ تعريف المسرحيَّة وضِعَ علميّاً منذ 2260 سنة، ولم يطرأ عليه أيّ

تغيير منذ ذلك الحين، وحين أقول إنَّ هذه المسلّيات ليست مسرحيِّات فليس ذلك وفقاً لمفهومي، بل وفقاً للمفهوم الَّذي وضعه الستاغيري الخالد[1].

فاني: ومن هو هذا؟

تروتر: **(مصدوم)** ألا تعرفين من هو؟!!

فاني: عذراً! فأنا لم أسمع به من قبل.

تروتر: وهذا هو مستوى التعليم في كامبردج! حسناً.. يسعدني يا آنستي أنْ أعرف ما لا تعرفين، ولن أبدّدَ جهلكِ الَّذي يميّز عمركِ وجنسكِ، لذا سنتوقف في الحديث هنا.

فاني: ولكن.. عِدني بأنْ تخبر والدي أنَّ كثيراً من النَّاس يؤلِّفون مسرحيِّات مثل مسرحيتي، فأنا لم أختر المسرحيَّة جزافاً.

تروتر: لن أفعل ما لم أشاهد المسرحيَّة، ولكنَّني سأخبركِ بما سأقوله له فيكِ؛ سأقول له إنَّكِ فتاةٌ غبيةٌ ساذجةٌ، تعاملتْ وأموراً تُدخل الريبة

---

(1) The Immortal Stagirite الستاغيري أحد مواطني ستاغيرة Stagira وهي مدينةٌ في مقدونية القديمة، أمَّا إذا أسبقنا اللفظة بأل التعريف فإنّنا نقصد به أرسطو العظيم. (المترجم).

في قلوب النظَّارة، وسأخبره أنَّه كلَّما أسرع في نقلكِ من كامبردج ومن المجتمع الفابي السَّائد فيها كان أفضل له ولكِ.

فاني: من المضحك أنْ أراكَ تدّعي الأبوة وتبالغ فيها؛ فنحن ننظر إليكَ في كامبردج على أنَّك ألمعيٌّ، ومفكّرٌ، وطائشٌ، وباريسيٌّ فاسقٌ، وأنَّكَ tres chic[1].

تروتر: أنا!!!

فاني: إنَّها تركيبةٌ تناسبكَ من الصّفات.

تروتر: عجباً!!

فاني: فإنْ ذكرناكَ في المغامرات والبطولات قلنا إنَّك أراميس[2].

تروتر: يا إلهي!!

فاني: وأنتَ دائماً تثير اللَّهو في الجدّ، وإنَّ لامبالاتكَ...

---

(1) بالفرنسية ومعناها: (متأنّق)، وتذكروا كلام ساڤ ويارد مع الكونت عن أنّ تروتر يتلعثم كلَّما ذهب إلى باريس، فهو لا يحب التحدّث في الفرنسيّة. (المترجم).

(2) Aramis شخصية خيالية ابتكرها ألكسندر دوما في روايته الشهيرة: الفرسان الثلاثة. (المترجم).

تروتر: (**بذعرٍ**) كفاكِ حديثاً بالفرنسيّة معي!! فهي لا تناسب الفتيات... حسبي اللّه! كيف يعقل أنْ يساء فَهْم مزحاتٍ بريئةٍ إساءةً شديدةً عظيمةً هكذا!!؟ جاهدتُ أنْ أعيش طيلة حياتي عيشةَ إخلاصٍ هادئةٍ.. وأنْ أكون متواضعاً لطيفاً طيّب القلب.. عشتُ حياة براءةٍ وطهرٍ.. دعمتُ الرّقابة في وجه السُّخف والإهانة وما زلتُ.. فأجدُ نفسي بعد ذلك أنّني بؤرة لقلّة الأدب! ومقالةٌ صاخبةٌ تلوكها ألسنة شاباتٍ عصرياتٍ وقحاتٍ!! يحقّرنَ ما فيَّ من خصالٍ حميدةٍ، وسجايا عتيدةٍ!!.. يا للنيتشيّة!! يا للشوويّة!![1]

فاني: أتعني يا سيِّدي أنَّكَ تساند الجدّ والرّزانة؟

تروتر: طبعاً! وكيف تجرئين على سؤالي مثل هذا السّؤال؟

فاني: فلِمَ لا تلتزم ذاك الجانب؟

تروتر: وكيف لا!؟ فأنا لا أعرّض نفسي للسخرية

---

[1] نسبة إلى فريدريك نيتشة، وجورج برنارد شو على التوالي، والمعروف أنَّ شو تأثَّر بنيتشة، وأنَّه أخذ نظرية الإنسان الأسمى (السوبرمان) منه. (المترجم).

وهزء النّاس.

فاني: ماذا؟ لا تعرّض نفسكَ للسخرية وهزء النّاس حتَّى من أجل قضيةٍ ساميةٍ؟ آهٍ! يا سيِّد تروتر هذا vieux jeu[1]!

تروتر: (**يصرخ في وجهها**) لا تتحدثي بالفرنسيّة! لن أسمح بذلك!

فاني: لكنَّ هذا فعلاً أمرٌ لاغٍ باطلٌ؛ فالمجتمع الفابي في كامبردج...

تروتر: أمنعكِ من ذكر المجتمع الفابي أمامي!

فاني: : شعاره: «لن تتعلَّم التزلّج ما لم تجعل من نفسك سخريةً»[2].

تروتر: التزلج! وما علاقة هذا بذاك؟

---

(1) بالفرنسيّة ومعناها من الطراز القديم، أو كما نقول عتيق. (المترجم).

(2) هذا القول من أقوال جورج برنارد شو، والجملة كاملة هي:
You cannot learn to skate without making yourself ridiculous - the ice of life is slippery.
ونلاحظ في هذه المسرحية أنَّ برنارد شو بثَّ فيها أقواله وآراءه صراحةً؛ أي بذكر اسمه، أو صفاته، أو فعاله. (المترجم).

فاني: هـذا لـيس كـلّ شـيء؛ فتكملـة الشّـعار: «فـإنَّ جليد الحياة زلِقٌ».

تروتر: جليـد الحيـاة!! كُلِـي مـن هـذا الجليـد حتَّـى تشبعي! لا أريد أنْ أسمع منكِ كلمةً أخرى.

(يعود الكونت).

الكونت: ننتظـركِ في غرفـة الاسـتقبال يـا عزيزتـي.. أكنـتِ تحتجـزين السَّـيِّد تروتـر طـوال هـذا الوقت؟

تروتر: عذراً منكما! سأذهب.

الكونت: وَجَـبَ عليـكِ أنْ تكـوني الآن في غرفـة الاستقبال يا عزيزتي.. ما كان عليكِ أنْ تبقيه هنا.

فاني: أعرف هـذا، إنَّما كـان عليَّ أنْ أقول لـه أمـراً مهماً.

الكونت: سأطلب منه أنْ يعزمكِ على الغداء.

فاني: أجل يا أبي! آمل ذلك.

الكونت: لا عليكِ يا بنيتي، سأفعل. هيَّا بنا.

فاني: أمرٌ آخر يا والـدي! ولأنَّنـا على انفـراد.. مـن هـو

الستاغيري؟

الكونت: ألا تعلمين؟!

فاني: ليس لديَّ أيُّ فكرة.

الكونت: إنَّه أرسطو.. وعلى فكرة، لا تذكريه في حضور السَّيِّد تروتر.

(يذهبان إلى غرفة الطَّعام).

الفصل الأوَّل من مسرحيِّة فاني

في غرفة المعيشة في بيتٍ في دنمارك هِل[1]، تجلس سيِّدةٌ مسنَّةٌ عند الإفطار تقرأ صحيفةً. كرسيها عند طاولة الطَّعام في الجهة الأخرى من الموقد، وفي الجانب الآخر من الطَّاولة كرسيٌّ فارغٌ، وخلفه موقد النَّار، أمَّا الباب فبحذاء الموقد، وبين الموقد وأحد أركان البيت. وبجانب الموقد سطل للفحم، وبجانبه كرسيٌّ ذو ذراعين. في منتصف الجدار الخلفيّ خزانة لأدوات الطَّعام، أمَّا بقية الأثاث فمن كراسٍ للطَّعام تحاذي الجدران، ومن بينها كرسيٌّ هزَّازٌ للأطفال بالقرب من مجلس السَّيِّدة. السَّيِّدة امرأةٌ حليمةٌ هادئةٌ، أمَّا زوجها السَّيِّد روبن غِلبي ففاقد الأعصاب مهتاجٌ مضطربٌ، ينفجر غاضباً وبيده رسالة.

غِلبي: (يحرِّق أسنانه غضباً) هذا أمرٌ جميلٌ!! هذا أمرٌ...

---

[1] Denmark Hill صقعٌ من أصقاع مدينة لندن. (المترجم).

السَّيِّدة غِلبي: (**تقاطعه**) دع عنكَ هذا رجاءً! فالألفاظ النَّابية السُّوقيّة لن تحسّن من أمرنا قطّ.

غِلبي: (**بمرارة**) أجل.. خطِّئيني كعادتكِ، وانحازي إلى جانب ولدكِ ضدّي (**يرمي بنفسه على الكرسي الفارغ قبالتها**).

السَّيِّدة غِلبي: عند الفعل الحسن فهو ابنكَ، أمَّا عند فعل الشّين فهو ابني.. أسمعتَ عنه شيئاً؟

غِلبي: تراودني نفسي ألاَّ أخبركِ.

السَّيِّدة غِلبي: لا تفعل إذن، وأظنُّ أنَّكَ وجدته، وهذا يطمئنني.

غِلبي: لا، لم نجده.. ربما يكون في قعر نهرٍ ما (**يجلس متقلقلاً، فيقف، ويقطع الغرفة مضطرباً**).

السَّيِّدة غِلبي: فما الَّذي تحمله في يدكَ؟

غِلبي: رسالةً من المونسينيور غرينفل من نيويورك، يخبرني بأنَّه سيزورنا، وسيزعجنا، أليس هذا خبراً جميلاً!؟

السَّيِّدة غِلبي: وما سبب الزيارة؟

غِلبي: (**ينحى ناحية كرسيّه بعنف**) وما أدراني؟

السَّيِّدة غِلبي: وماذا يقول؟

غِلبي: (**يجلس ويضبط نظّارته بعنف**) إليكِ ما يقول «عزيزي السَّيِّد غِلبي.. لحقتني أخبار بوبي عبر الأطلسي، ولم تصلني حتَّى هذا اليوم. أخشى أنْ يكون شاباً فاسداً لا يرجى صلاحه، ويشعر شقيقي بأنَّ فساده وغيَّه هذه المرَّة تجاوزا كلَّ الحدود، وأنا أرى بأنَّ في فعلته هذه فسقاً وطرداً من رحمة اللّه، ولا نعلم شيئاً آخر من أمره غير انَّ طفله لم يولد بعد».

السَّيِّدة غِلبي: وماذا أيضاً؟

غِلبي: «أخشى أنَّ شقيقي يلوم نفسه قليلاً، لذا فأنا سأغفر لبوبي زلَّته فيما بعد، وليكن هذا سرَّاً بيننا.. أمَّا الآن فافهموا أنَّه شانَ نفسه شيناً عظيماً. المخلص لكَ». يا لها من صفعةٍ على وجهي تلقيتها من رجلٍ في مثل مكانته ومركزه!! هذا ما جلبه ابنكِ لي.

السَّيِّدة غِلبي: حسناً، أظنُّها رسالةً لطيفةً؛ فهو لا يشعر

بالإهانة إلاَّ لمصلحة بوبي.

غِلبي: أوه!! لنضع هذه الرسالة إذن في إطار، ثمَّ نعلّقها فوق الموقد تزكيةً وتكريماً من سعادته.

السَّيِّدة غِلبي: كفاكَ هذراً يا روب[1]، عليكَ أنْ تشكر الله لأنَّ ابنكَ على قيد الحياة، بعد أنْ اختفى منذ ما يقارب من أسبوع.

غِلبي: أسبوع!! تقصدين أسبوعين.. أين أحاسيسكِ يا امرأة؟!! البارحة هو اليوم الرابع عشر.

السَّيِّدة غِلبي: لا تلفظها هكذا يا روب، وكأنَّه كان في سجنٍ.

غِلبي: وما أدراكِ أنَّه لم يكن في السّجن!؟ فإنَّ مشاعري تقول إنَّه كان فيه.

السَّيِّدة غِلبي: كفاكَ سخافةً يا روب! ربما تحامق بوبي مثل أيّ شاب في عمره، ولكنَّه لن يخرق القانون.

---

[1] تصغير روبن. (المترجم).

(يدخل الخادم دجِغنز وبيده طَبَق فيه رسالة. هو رجل في الخامسة والثلاثين أو يزيد، هابط النَّفس، حَسن المظهر والثِّياب، منضبطٌ انضباطاً شديداً).
ترغب سيّدة في رؤية والديّ السَّيِّد بوبي.

غِلبي: **(يشير إلى السَّيِّدة غِلبي)** تلكَ هي والدة السَّيِّد بوبي، أمَّا أنا فأتبرَّأ منه.

دجِغنز: حسناً يا سيِّدي! **(يقدّم الطَّبق إلى السَّيِّدة غِلبي)**.

السَّيِّدة غِلبي: لا تبالِ بما يقوله سيِّدكَ، فهو لا يقصد ذلك. **(تأخذ البطاقة وتقرأ ما كُتب فيها)**. حسناً!

غِلبي: ما الأمر؟

السَّيِّدة غِلبي: **(تقرأ)** «السَّيِّدة د.غِلاني. عزيزتي دورا»، هذا ما كُتِبَ، وبين قوسين.. من أيّ صنفٍ من النَّاس هي يا دجِغنز؟

غِلبي: ما العنوان؟

السَّيِّدة غِلبي: **(The West Circular Road)**، أهذا العنوان في مكانٍ لائقٍ يا دجِغنز؟

دجِفنز: عددٌ كبيرٌ من المحترمين يعيشون هناك يا سيِّدتي.. لكنَّ العنوان ليس معياراً للاحترام يا سيِّدتي.

غِلبي: أرأيتِ!؟

السَّيِّدة غِلبي: لا تتسرع في الأحكام يا روب، فما الَّذي أدراكَ؟ أهي سيِّدةٌ يا دجِفنز؟ وأنتَ تعرف ماذا أقصد بسيِّدة؟

دجِفنز: وفقاً للفظكِ للكلمة.. لا يا سيَّدتي.

السَّيِّدة غِلبي: الأفضل أنْ أستقبلها وأرى ماذا أستنتج من ذلك.. (**إلى دجِفنز**) دعها تدخل. أنتَ لا تمانع يا روب، أليس كذلك؟

غِلبي: شريطة أنْ تبقي في الغرفة ولا تخرجي وتتركيني معها. (**يقف، ومن ثمَّ يقعد على السَّجادة الَّتي بجانب الموقد**).

(**يخرج دجِفنز**).

السَّيِّدة غِلبي: يا ترى ماذا تريد يا روب؟

غِلبي: إنْ أرادت المال فلن تحصلَ عليه، ولا فلسٍ واحدٍ.. أمرٌ لطيفٌ أنْ يراها الجميع أمام منزلنا! ولولا أنَّ لديها ما تخبرنا به عن ولدنا لطلبتُ من دجِفنز أنْ يرميها خارجاً.

دجِغنز: **(يعود ويعلن)** الآنسة دِلاني. **(ينتظر هنيهةً يترقّب أوامر تصدر منهما، ومن ثمَّ يقدِّم كرسياً للضيفة)**.

(تدخل الآنسة دِلاني. هي امرأةٌ شابةٌ مرحةٌ، ذات مظهرٍ حسنٍ جذّابٍ، وثيابٍ مضحكةٍ، يتملّكها شعورٌ بأنَّ لا أحد سيطردها خارجاً).

دورا: **(تتقدم إلى منتصف الغرفة فجأةً)** كيف حالكما؟ أنا صديقةٌ لبوبي، أفضى إليَّ مرَّةً وأخبرني عنكما، وبالطبع لم يقل لي مع من كان في المحكمة الشّرطيّة[1].

غِلبي: المحكمة الشّرطيّة!!

دورا: آه! أخرجتُه من هناك، أجل فعلتُ! **(تُمعن النَّظر في دجِغنز بإعجابٍ وهو يضع لها الكرسي بين الطّاولة والخزانة)** لكنّه طيب القلب، أنا واثقةٌ بذلك. (تأخذ بتلابيب دجِغنز) لن تطرده أيّها العجوز، أليس كذلك؟

---

(1) police court محكمة لحوادث الإخلال بالأمن الخفيفة. (المترجم).

دجِفنز: يمكـن للعائلـة أنْ تعتمـد علـيَّ في ذلـك. (**يسحب نفسه منها**).

دورا: (**تقعـد بهـدوءٍ ورزانـةٍ**) لا أعـرف مـا الَّـذي ستقولانه لي، فليس من حقّي أنْ آتي هنا، ولكن ما الَّذي كان عليَّ أنْ أفعله حينها؟ أنـتَ تعـرف هـولي جـو أسـتاذ بـوبي الخصوصيّ.. طبعاً تعرفه.

غِلبي: (**بكرامـة**) أعـرف السَّيِّد غرنفـل، شـقيق المونسـينيور غرنفـل، إنْ كـان هـو مـن تقصدين.

دورا: (**توسّـع عينيهـا دهشـةً واسـتغراباً**) لا!! أتقصد أنَّ ذلك المسن غريب الأطوار شقيق المونسـينيور؟! وأنَّكـم مـن الكاثوليـك؟! وأنـا كنـتُ جاهلـةً لهـذا مـع قِـدم معـرفتي ببـوبي!! ولكـنَّ آخـر مـا تعرفـه عـن المـرء دينه، أليس كذلك؟

السَّيِّدة غِلبي: لسنا من الكاثوليك، لكنَّ زوجي أراد أنْ يستشـير المونسـينيور بخصـوص بـوبي؛ لأنَّـه زبـونٌ لـدينا، فأوصـى بشـقيقه لمـا فيـه مـن خصال تناسب بوبي.

غِلبي: (**بعصبيةٍ**) لا تريد أنْ تسمع هذا يا ماريا. (**إلى دورا**) وما خصّكِ بهذا؟

دورا: أخشى أنَّ الذنب ذنبي!

غِلبي: وما هو ذنبكِ؟ فأنا مشتت الذّهن، ولا أعرف ماذا حصل للصّبي، مضى أربعة عشر يوماً...

السَّيِّدة غِلبي: أسبوعان يا بوب.

غِلبي: لم نسمع كلمةً منه.

السَّيِّدة غِلبي: لا تشغل بالكَ بهذا يا روب.

غِلبي: (**يصرخ**) بل سأفعل!! أنتِ امرأة بلا مشاعر؛ فأنتِ لا تهتمين بما سيحصل للشاب (**يقعد بغضب**).

دورا: (تهدّئ من روعه) أنتَ بالطبع قلقٌ بشأنه.. يا لي من حمقاء طائشة لأنَّني لم أخبركَ بأنَّه في أمان، بل هو أكثر مكانٍ آمنٍ في العالم في السّجن.

غِلبي: (**برعبٍ شديدٍ**) آهٍ!! (**تتقطع أنفاسه فلا يقدر على متابعة الكلام**) أتقصدين أنَّه لمَّا كان في المحكمة الشّرطيّة كان رهنُ

الاعتقال؟ آهٍ يا ماريا! آهٍ! يا إلهي! ما الَّذي فعله؟ ما الَّذي اقترفه؟ **(بيأس)** أليس الحق معي؟!

دورا: **(بلطف)** بلى!

السَّيِّدة غِلبي: **(تجفل من هذه الألفة ورفع الكلفة)** حسناً!

دورا: **(تتابع كلامها)** سأخبركَ، ولكن لا تقلق؛ فهو بخير. ظهر لي هذا الصَّباح انَّ هناك حشداً وفرقةً، فظنّوا أنَّني مشاركة معهم للحصول على حقّ التصويت، لكنَّ هذا ما يتوهمونه. تحدَّث هولي جو أنّه كان عدَّاءً ماهراً في الجامعة.

السَّيِّدة غِلبي: ماذا؟

دورا: عدّاء.. قال إنَّه أسرع عدَّاء في مسافة المائة متر في إنكلترة.. كلّنا كنّا في الحظيرة القديمة تلك الليلة.

السَّيِّدة غِلبي: أيّ حظيرةٍ قديمةٍ!؟

غِلبي: **(يجأر)** باللّه عليكِ! تابعي! تابعي!

دورا: آهٍ مني! بالطبع لا تعرفين! يا لحماقتي! هي

كقاعة الموسيقا في ستِبني[1]، ونحن ندعوها الحظيرة القديمة.

السَّيِّدة غِلبي: أيأخذ السَّيِّد غرنفل بوبي إلى قاعات الموسيقا؟

دورا: لا، بل بوبي هو الَّذي يأخذه، لكنَّ هولي جو يحبُّ ذلك.. يحبُّ ذلك كثيراً.. يا للمسكين! حسناً، يقول بوبي لي "عزيزتي...".

السَّيِّدة غِلبي: **(بذعرٍ شديدٍ)** ولِمَ يناديكِ بعزيزتي!!؟

دورا: الكلّ ينادي عزيزتي؛ فهو كاسمٌ لي عزيزتي دورا.. أفهمتِ؟ حسناً، يقول «عزيزتي، إنْ استطعتِ دفع هولي جو إلى العدو مائة متر سأشتري لكِ تلك النّفاخة[2] ذات المفاتيح الذهبيّة».

السَّيِّدة غِلبي: أينادي أستاذه الخاص باسمه في وجهه؟ **(يشدّ غِلبي شعره باضطرابٍ شديدٍ)**.

---

(1) Stepney صقعٌ في إنكلترة. (المترجم).

(2) squiffer، اصطلاحٌ وضعتُه ليقابل اللفظة الإنكليزيّة الَّذي لم أجد مقابلاً لها في معاجمي (المترجم).

دورا: وبأي اسمٍ يناديه؟ فـ (**هولي جو**) هوَ (**هولي جو**)، والصّبية هم الصّبية.

السَّيِّدة غِلبي: وما هي النّفاخة؟

دورا: آه! طبعـــاً.. اعـــذري ســـوقيتي! هـــي الكونسـرتينة[1]، هنـاك واحـدةٌ معروضـةٌ في غـرين سـتريت، مطعَّمـة بالعـاج، ذات مفـاتيح ذهبيّـة، وفي سـفلها جلـدٌ روسـيٌّ، وبـوبي يعـرف أنّـني أتـوق إلى امتلاكهـا، لكنَّـه لا يملـك ثمنهـا.. ذلـك المسـكين! لكنَّني أعـرف في قرارة نفسـي أنَّه يرغـب في إعطائها لي أشدَّ الرغبة.

غِلبي: إنْ كنتِ يا ماريا ستستمرين في مقاطعتها بأسـئلتكِ السَّـخيفة فسـأخرج عـن طـوري؛ فالصَّبي في السّـجن، والعـار لحـق بـي إلى أخـر العمـر، وكـلّ مـا يهمّكِ أنْ تعـرفي مـا هي تلك الآلة.

دورا: وتذكَّر أنَّ لها مفاتيحَ ذهبيّةً، ومالكها لا

---

[1] concertina آلة موسيقيّة تشبه الأكورديون. (المترجم).

يرضى بأقل من خمسة عشر جنيهاً ثمناً لها.

غلبي: (**يصرخ في وجهها**) أين ابني!!؟ ماذا حلَّ به؟ هلاَّ أخبرتني بهذا، وكففتِ عن الهذر بآلتكِ!؟

دورا: صبراً جميلاً يا عزيزي! لا تتزعج؛ فلن يلحق بكَ أيّ عار؛ لأنَّ بوبي تصرَّف كما يتصرَّف الأسياد أصحاب الشّهامة، وبالإضافة إلى ذلك فإنَّ الذّنب ذنبي؛ فأنا شربتُ كثيراً من الخمر، لكنَّني لم أكن مخمورةً فاقدة العقل حينها، بل يمكن أنْ تقول إنّني كنتُ منشيةً قليلاً.. أعترف بهذا، أردتُ أنْ أتفاخر أمام بوبي وأتباهى لألفت انتباهه؛ إذْ كان مأخوذاً قليلاً بامرأةٍ على المسرح، وهي تتظاهر بانَّ لها همّة عالية. ربيتما بوبي تربةً صارمةً، فلمَّا اتبع هواه تمادى في ذلك، فهو يستمتع بحياته كما لم يستمتع شابٌ قط.

غلبي: ليس من شأنكِ كيف ربيناه، بل أخبريني كيف انحلَّ وانحطَّ؛ فهذا شأنكِ.

السَّيِّدة غلبي: لا تتواقح على الآنسة يا روب!!

دورا: سآتي على ذكر ذلك أيَّها الشّيخ، فلا تستعجل. كانت ليلةً صافيةً جميلةً، ولم نستطع حينها أن نستأجر عربةً، فمشينا مستمتعين مسرورين ذراعاً بذراع، ونحن نرقص ونغني، وما إلى ذلك. فلمَّا وصلنا إلى ساحة جامايكا وجدنا شرطياً شاباً في الخدمة في ركنٍ من أركانها، فقلتُ لبوبي «أهي صفقةٌ بيننا أن تشتري لي النّفاخة إنْ جعلتُ جو يعدو المائة متر؟»، فقال «اتفقنا!»، فهيّأتُ ما فيَّ من خصال الصُّحبة الحميدة وقصدتُ الشّرطي، فقلتُ له «لو سمحتَ يا سيِّدي! أتدلَّني إلى ساحة كاريكماينز؟»، تصرَّفتُ معه بمنتهى اللّطف، وتكلّمتُ بمنتهى الكياسة، فانساق لي وأسلس وقال «لم أسمع بهذه السَّاحة في هذه الأنحاء»، فقلتُ له «يا لكَ إذن من شرطيٍ ساذجٍ!»، فنقرته على خوذته نقرةً أوقعَتها على عينيه، ومن ثمَّ وليتُ هاربةً.

السَّيِّدة غِلبي: ثمَّ ماذا؟

دورا: ولَّيتُ هاربةً.. فما كان من هولي جو إلاَّ أنْ أطلق ساقيه للريح كما لم يفعل في الجامعة، فما أنْ وصلنا إلى منتصف السَّاحة حتَّى سمعنا صافرة، وما أنْ سمعناها حتَّى انطلق كما تنطلق الصَّاعقة في كبد السّماء، وكانت تلك آخر مرَّةٍ رأيته فيه، ومن سوء حظّي أنّهم ألقوا القبض عليَّ في شارع دوك، أليس حظّي سيئاً؟ جرَّبتُ معهم كلّ الكياسة وحسن التصرف، ولكن لا فائدة.

غِلبي: وماذا حصل للفتى؟

دورا: توقّف ليضحك على الشّرطي؛ ظانّاً أنَّ الشّرطي سيفهم المزحة، وكان يجادله لمَّا أتى الشُّرطيّان اللَّذان ألقيا القبض عليَّ، ففهما لِمَ الصّافرة كانت، فأخذوني معهم، واتهموني بأنّني كنتُ مخمورةً، مضطربةً، اعتديتُ على شرطيّ. أقسم أنّني لم أره في حياتي من قبل، ولكن ها هو يعتمر قبعتي، وها أنا أعتمر قبعته،

فحبسوني أربعة عشر يوماً، لأنَّهم رأوني فاقدةً لصوابي حينها، ولم يكن بوبي يملك المال ليدفع كفالة خروجه، فلم يذكر لهم اسمه كيلا يزجكَ في الأمر، فهو الآن يقضي عقوبته. قيمة الكفالة اثنان وأربعون شلناً، ولا أملكُ في هذه الدنيا غير ثمانية وعشرين ولو بعتُ ثيابي، لذا لم أستطع دفع الكفالة لأخرجه، ولكن إنْ أعطيتني ثلاثة جنيهات فسأتدبّر بقية المبلغ وأدفع الكفالة، ولو كنتَ طيباً جدّاً فستدفع الكفالة كلّها، لكنّني لا أنكر أنَّ الذنب ذنبي، لذا لا أستطيع أنْ أجبركَ.

غِلبي: (**كسير الفؤاد**) ابني في السّجن!!

دورا: هيَّا أيَّها الشّيخ، ابتهج! لن يؤذيه السّجن، وحسبكَ أنْ تنظر إليَّ بعد أربعة عشر يوماً فيه، فلا تنزعج لأمره.

غِلبي: العار الَّذي لحقني بسببه سيقتلني، وسيشينه طوال حياته.

دورا: لن يشينه شيء، فلا تقلق؛ فأنا علَّمتُ بوبي

قليلاً، ولن أتركه مدلَّلاً منعَّماً كما كان عندكَ.

السَّيِّدة غِلبي: ليس بوبي كما تدَّعين؛ أرادوه أنْ ينتسب إلى جمعية الشّبَّان المسيحيّين ليتدرَّب على المبارزة بالعصا[1]، فلم أسمح له؛ فقد تنقلع إحدى عينيه.

غِلبي: **(إلى دورا بغضبٍ)** اسمعيني!!

دورا: هل أزعجتكَ؟

غِلبي: لا أريد شيئاً من خفّة ظلّكِ هنا! فهذا منزلٌ محترمٌ.. أوقعتِ ابننا السَّاذج بالمشاكل، فأمثالكِ من يفسد أمثال ابني.

دورا: تقول هذا دائماً أيّها الشَّيخ، لكنَّكَ تعرف تمام المعرفة أنَّ بوبي هو من قصدني ولستُ أنا.

غِلبي: لو لم تكوني هناك في انتظاره لما كان ذهَب، أخبريني!! أنتِ تعرفين لِمَ قصدكِ؟

دورا: **(بفرحٍ وحبورٍ)** ملَّ المنزل بما فيه.. يا للمسكين!

---

[1] وليس بالسّيف كما في الزمن القديم. (المترجم).

السَّيِّدة غِلبي: لا! فأنا لا أغادر المنزل في أيام الخميس، ونستضيف آل نوكس للغداء في أيام الجمعة، فمارغريت نوكس وبوبي صديقان متآلفان وكأنَّهما خاطبان، والسَّيِّد نوكس شريك زوجي، والسَّيِّدة نوكس امرأةٌ متدينةٌ متزمتةٌ، غير أنَّها مرحةٌ تحبُّ المزاح، ونتغدى معهم أحياناً في أيام الثلاثاء، فنحن نقضي يومين ممتعين في كلّ أسبوع.

غِلبي: (**تغرورق عيناه بالدموع**) فعلنا ما نستطيع للفتى، ولم نقصّر معه في شيء، إذْ كان يفعل ما يشاء، فما الَّذي يريده بعد كلّ هذا؟

دورا: حسناً أيّها الشَّيخ! هو يريدني، هذا كلّ ما في الأمر، ولا بدَّ لي من القول إنَّكَ لستَ لطيفاً معي البتة. كلّمتُه كأمّ، وحاولتُ جاهدةً أنْ أبقيه على الصّراط، لكنّني لا أنكر أنَّني أحبُّ العبث واللهو قليلاً، فلهونا مع بعضنا في بعض الأوقات حين شعرنا بالمرح. أنا وهو نشكّل زوجاً جميلاً.

غِلبي: كفاكِ هذراً يا فتاة! فكيف تكونان زوجاً، وأنتِ نشأتِ كما أنتِ، وهو ترعرع كما هو، وسيدةٌ متدينةٌ مثل السَّيِّدة نوكس بين ناظريه؟! لا أفهم كيف يسمح لنفسه أنْ يظهر علناً مع فتاةٍ مثلكِ!؟ (**يشفق على نفسه**) أنا لا أستحقّ هذا! فقد قمتُ بواجبي الأبويّ نحوه وحميته. (**يخاطبها بغضب**) أمَّا المخلوقات أمثالكِ ممَّن يستغلّون براءة الأطفال فلا بدَّ أنْ يُجلدوا على حدق النَّاس!!

دورا: حسناً! مهما قلتَ ـيَّ فلن أغضب، ولا أظنُّ أنَّ بوبي يريدني أنْ أخبركَ برأيي فيكَ؛ فأنا حين أشرع ـيَ وعظ النَّاس أستخدم ألفاظاً لا تناسبني، لكنَّني سأخبركَ شيئاً، وأقوله لكَ آخر مرّة يجب أنْ أحصل على المال لأخرج به بوبي، فإنْ لم تدفع وتملَّصتَ من ذلك، فربما ألاحق هولي جو، وربما يطلب المال من شقيقه المونسينيور.

غِلبي: اهتمي بشؤونكِ! فإنَّ محاميَّ سيفعل ما

يـراه صـواباً ، فلـن أسمـح لـكِ أنْ تـدفعي كفالة ابني وكأنَّكِ تعنين شيئاً له.

دورا : أحسنت! ستخرجه اليوم، أليس كذلك؟

غِلبي: وكأنَّني سأترك ابني في السّجن.

دورا : ومتى سيخرج؟

غِلبي: حقّاً!!؟ ستقابلينه عند باب السّجن.

دورا : ألا تظـنّ أنَّ النسـاء اللـواتي يفعلـن ذلـك يفقدن مشاعر النساء؟

غِلبي: (**بمـرارة**) بـالطبع! إليـكِ! يجـب أنْ أشـتري خـلاص الشَّـاب.. كـم سـتأخذين لتتركيـه وشأنه؟

دورا : (**تشـفق عليـه**) مـاذا سـينفعه هـذا أيّهـا الشَّيخ؟ فهنالك أخريات كما تعرف.

غِلبي: هذا صحيح، يجب أنْ أُبعد الصَّبي نفسه.

دورا : إلى أين؟

غِلبي: إلى أيّ مكانٍ يكون فيه بعيداً عنكِ.

دورا : إذن، أخشـى أيُّهـا الشَّـيخ أنَّـكَ سترسـله إلى خـارج هـذا العـالم، أنـا أشـعر بالأسـف

عليكَ، حقّاً، وإنْ كنتَ لا تصدّقني، وأرى أنَّ مشاعركَ في صالحكَ، لكنَّني لا أستطيع أنْ أتخلَّى عنه، كيلا يقع في أيادي أناس لا ثقة لي بهم.

غِلبي: **(يقف)** أين الشّرطة؟ أين الحكومة؟ أين الكنيسة؟ أين هي دوافع الاحترام والتقدير؟ ما نفع ذاك كلّه وأنا أقف وأراكِ تستعبدين ابني وكأنَّه عبدٌ يباع ويشترى، وأنتِ الَّتي خرجَت من السّجن منذ حينٍ بتهمة إثارة الشَّغب وشرب الخمر.. فيا لهذا العالم الَّذي نحن مقبلون عليه!!

دورا: إنَّه يانصيب، أليس كلك؟

(يخرج السَّيِّد غِلبي من الغرفة غاضباً).

السَّيِّدة غِلبي: **(من غير تأثّرٍ بما حدث)** من أين اشتريتِ هذا الرّباط الأبيض؟ أريد واحداً منه، وبحثتُ عنه في محلّ بيري وجون فلم أجد.

دورا: مـن محـلّ نـاغ وبانتِـل، ثمنـه جنيـهٌ واحـدٌ وأربعة بنسات[1]، ومصنوعٌ آليّاً.

السَّيِّدة غِلبي: لـيس ثمنــه أكثــر مــن جنيــهٍ وبنســين، لكنَّني أظنُّكِ تميلين إلى المبالغة في جميع الأمـور، وأخـتي مارثـا مثلـكِ، فهـي علـى استعدادٍ لتبيع أيّ شيءٍ تُسأل عنه.

دورا: ومـا قيمـة البنسـين بالنسـبة إليـكِ يـا سـيّدة بوبي على كلّ حال؟

السَّيِّدة غِلبي: (**تصحّح لها**) بل السَّيِّدة غِلبي.

دورا: طبعاً.. طبعاً.. يا لحماقتي!!

السَّيِّدة غِلبي: لا بـدَّ مـن أنَّ بـوبي بـدا سـخيفاً في قبعتـكِ، لِمَ تبادلتما القبعات؟

دورا: لا أعـرف.. فـالمرء يفعـل أحيانـاً أمـوراً مثـل هذه.

السَّيِّدة غِلبي: لم أفعـل شـيئاً مثـل هـذا في حيـاتي، يـا لغرابة الأفعال الَّتي يقوم بها النَّاس!! أنـا لا

---

[1] البنس penny واحدٌ من المائة من الدينار الأسترالي. (المترجم).

أفهمهم. لم يخبرني بوبي أنَّه يرافقكِ، وأنا أمّه!!

دورا: العذر منكِ! فأنا لا أستطيع أن أكتم ضحكتي.

(يدخل دجِنز).

دجِنز: ذَهَبَ سيِّدي إلى وورموود سْكْرَبسْ[1] يا سيِّدتي.

السَّيِّدة غِلبي: هل دخلتَ المحكمة الشّرطيّة يوماً يا دجِنز؟

دجِنز: أجل يا سيِّدتي.

السَّيِّدة غِلبي: **(تشعر بصدمةٍ نوعاً ما)** آمل ألاَّ تكون تعدَّيتَ حدودكَ!!

دجِنز: نعم يا سيِّدتي، فقد تعديّتُ الحدود الموضوعة.

السَّيِّدة غِلبي: آه!! لِمَ يحكمون على امرأةٍ بالسّجن أربعة عشر يوماً لاعتمارها قبعة رجل،

---

(1) Wormwood Scrubs سجنٌ في لندن. (المترجم).

ويحكمون على الرجل بالسّجن شهراً لاعتماره قبعتها؟

دجِفنز: لا علم لي بأنَّهم يفعلون ذلك!

السَّيِّدة غِلبي: لا يبدو هذا عادلاً يا دجِفنز، أليس كذلك؟

دجِفنز: صدقتِ يا سيِّدتي.

السَّيِّدة غِلبي: (**إلى دورا، تقف**) حسناً، وداعاً! (**تصافحها**) سررتُ برفقتكِ!

دورا: (**تقف**) وأنا كذلك، ولطفٌ منكما أنَّكما استقبلتماني!

السَّيِّدة غِلبي: عليَّ أنْ أطلب تحضير الغداء الآن (**تقصد الباب**) ماذا سميِّتِ تلك الآلة الموسيقيّة؟

دورا: النَّفاخة يا عزيزتي.

السَّيِّدة غِلبي: (**بتفكّر**) النَّفاخة!! يا للظرافة!! (**تخرج**).

دورا: (**تشعر بنشوةٍ عظيمةٍ وهزّة طرب**) يا لله! أليست تلك المرأة ظريفة!؟ كيف تستطيع أنْ تحافظ على هدوئكَ هكذا؟

دجِفنز: يدفعون لي لأجل هذا.

دورا: (**بصوتٍ خافتٍ**) اسمعني أيّها الصّديق! اسمك ليس دجِفنز، فلا يسمَّى بهذا الاسم أحد.

دجِفنز: أوامري يا آنسة أن ترحلي من هنا حين يعود السَّيِّد غِلبي من وورم وود سْكرَبس.

دورا: وهذا يعني أنْ أهتمَّ بشؤوني.. حسناً، أنا خارجة.. وداعاً يا صديقي شارلي. (**ترسل له قبلة في الهواء ثمَّ تخرج**).

الفصل الثاني من مسرحيّة فاني

عصر اليوم نفسه.. السَّيِّدة نوكس في غرفة القعود تكتب بعض الملاحظات على طاولةٍ للكتابة بالقرب من الجدار، وإلى يمينها الباب، وإلى يسارها النَّافذة. وخلفها بيانو[1] قائمٌ في الجهة الأخرى من الغرفة، وبالقرب من البيانو أريكة، وفي وسط الغرفة طاولةٌ صغيرةٌ، عليها بعض الكتب وسجلّ صور، وبالقرب منها كراسٍ.

يدخل السَّيِّد نوكس مخالسةً، وهو رجلٌ مضطربٌ في الخمسين من عمره، أنحف من شريكه غِلبي، وأقسى، وأقبح. في حين أنَّ غِلبي أبيض الشَّعر، رقيق البشرة، فإنَّ لنوكس شعراً أسودَ جعداً، وذقناً أغبسَ[2] لا يمكن لحلاقة اللحية الَّتي فيه أنْ تبيّضه. أمَّا السَّيِّدة نوكس فامرأةٌ ساذجةُ الجّمال، تلبس لباساً مبتذلاً، وتتصرف

---

(1) piano. (المترجم).

(2) كلون الرّماد. (المترجم).

برزانةٍ ووقارٍ، فيغشاها لذلك جوٌّ من الطمأنينة والسَّلام. تتفاجأ بزوجها في البيت في أثناء ساعات العمل.

السَّيِّدة نوكس: مـا الَّـذي جلبـكَ إلى البيـت في هـذه السَّاعة؟ أسمعتَ شيئاً؟

نوكس: لا، وأنتِ؟

السَّيِّدة نوكس: لا، فما الأمر إذن؟

نوكس: **(يقعد على المتكأ)** أعتقد أنَّ غِلبي اكتشف الأمر.

السَّيِّدة نوكس: ما الَّذي يدفعكَ إلى قول هذا؟

نوكس: جسـناً، لا أعـرف.. لم أرغـب في إخبـاركِ؛ فعندكِ من الهموم ما يكفيكِ، لكنَّ غِلبي يتصرف معي بغرابةٍ شديدةٍ منذ ذلك الحين، فلا أستطيع لذلك أنْ أركّز في عملي كما يجب، وكنتُ أعتمد عليه في العمل، لكنَّ حاله أسوأ من حالي؛ فهو لا يكترث لأمر العمل. أصبح غريب الأطوار والطِّباع، فلم يدعُنا إلى الغداء كعادته، ولم يعلّق على عدم دعوتنا له بكلمةٍ، بعد كلّ تلك السنين من وجبات الغداء معاً. يبدو الأمر لي أنَّ غِلبي

يحـــاول أنْ يســـقطني اجتماعيّـــاً، ويطمـــس سيرتي بين النَّاس، فلِمَ يفعل هذا إنْ لم يكـن يعرف الأمر؟

السَّيِّدة نوكس: عجبـاً! حتَّـى أنَّ بـوبي لم يقاربنـا أيضـاً، وهذا ما لا أستطيع تفسيره.

نوكس: آهٍ! هـذا لا شـيء؛ فقـد أخبرتُـه أنَّ مارغريـت قصدت كورنول مع عمّتها.

السَّيِّدة نوكس: **(تخاطبه بلوم)** جو! **(تأخذ منديلها من فوق طاولة الكتابة وتبكي قليلاً)**.

نوكس: يجـب أنْ أكـذب قليلاً، أليس كـذلك؟ أمَّـا أنتِ فلا.. لا بدَّ من أن يخبره أحدهم.

السَّيِّدة نوكس: **(تضع منديلها جانباً)**

أنـا لا أعـرف مـاذا أصـدّق؛ فالسَّـيِّدة غِلـبي أخـبرتني أنَّ بـوبي في بريتـون يلـتمس هـواء البحر، وهذا أمرٌ غريبٌ؛ فغِلبي لا يسمح لولده بالـذّهاب إلى مكـانٍ مثـل بريتـون مـن دون أستاذه الخـاصّ، وأننـا رأيتُ الأستاذ في اليوم نفسه الَّذي أخبرَتني فيه بهذا.

نوكس: إنْ عـرف آل غِلبي الأمـر فهـذا يعـني الخـلاف بين مارغريت وبوبي، والخلاف بيننا وبينهم.

السَّيِّدة نوكس: سيحصل الخلاف بيننا وبين الجميع، فعندما تهرب فتاة من بيتها هكذا، فانتَ تعرف ماذا يظنُّ النَّاس فيها وفي أهلها.

نوكس: لديها منزلٌ محترمٌ سعيدٌ، وفيه كلّ شيء، و...

السَّيِّدة نوكس: **(تقاطعه)** لا فائدة من إعادة الكلام يا جو، فإنْ لم تكن الفتاة سعيدة في قرارة نفسها، فلن تسعد في أيِّ مكان.. الأفضل لكَ أنْ ترجع إلى محلّكَ وتنزعها من تفكيركَ.

نوكس: **(يقف باضطرابٍ وتقلقلٍ)** لا أستطيع؛ فأنا أتخيّل الجميع يعرفون قصَّتي، ويسخرون منّي لذلك، فأنا لا أشعر بالطمأنينة إلاَّ هنا معكِ، أمَّا مع الآخرين فالعذاب والويلات.

السَّيِّدة نوكس: **(تذهب إليه وتتأبط ذراعه)** هوِّن عليكَ يا جو! هوِّن عليكَ! لو أمكنني أنْ أبقى بقربكَ طوال الوقت لفعلتُ، لكنَّ هذا صعبٌ.. وأمر الله لا بدَّ حاصلٌ، ولا رادَّ لقضائه، وعلينا أنْ نواجه ذلك ونصبر عليه.

نوكس: **(يقصد النَّافذة وهو ما يزال متأبّطاً ذراعها)** انظري إلى أولئك السَّابلة، يجيئون ويذهبون

وكـأنَّ شـيئاً لم يحـدث، أمَّـا أنـا فـأراهم يعرفون ما حصل بنا ولا يهتمّون.

السَّيِّدة نوكس: لو كانوا يعرفون يا جو لرأيتَ حشداً يحتشـد أمـام منزلنـا وهـم يرفعـون أنظـارهم إلينا.. يجب ألاَّ تستمر في التفكير في هذا.

نوكس: أعـرف.. الإيمـان يعتمـر قلبـكِ يـا أميليـا، وأنـا سـعيدٌ لأنَّـه يريحـكِ، أمَّـا أنـا فـالأمر مختلـف معـي؛ فأنـا عملـتُ بجـدٍّ لأحصـل علـى منصـبي واحترام النَّاس لي، وكنتُ أطرد الفتيـات مـن محلِّـي لأنَّهـن تـأخرّن نصـف سـاعةٍ لـيلاً، وهـا هي ابنتي تغيب عن منزلي أربعة عشر يوماً من دون كلمةٍ، ما عدا برقيـةٍ تقـول فيهـا إنَّهـا مـا تزال على قيد الحياة، وألاَّ نقلق عليها.

السَّيِّدة نوكس: (**تشير إلى الشَّارع فجأةً**) انظر يا جو!!

نوكس: مارغريت! برفقة رجل!

السَّيِّدة نوكس: بسرعةٍ يا جو! أمسك بها! أنقذها!

يسرع نوكس خارجاً من الغرفة. تنظر السَّيِّدة نوكس بقلقٍ واضطرابٍ من النَّافذة، ومن ثمَّ ترفع إطـار النَّافـذة وتمـدُّ رأسـها منهـا. تـدخل

مارغريت نوكس منزعجةً مقطّبةً. هي فتاةٌ قويةُ العود في الثّامنة عشرة، ذات منخرٍ كبيرٍ، وذقنٍ عريضةٍ، وتتزع إلى المزاح والهزل حتّى في المواقف المحرجة مثل الّذي تمرّ فيه الآن.

مارغريت: أمّاه! أمّاه!

(تُدخل السَّيِّدة نوكس رأسها من النّافذة، وتواجه ابنتها).

السَّيِّدة نوكس: **(بجفاءٍ)** حسناً يا آنسة!!؟

مارغريت: باللّه عليكِ يا أمي أنْ تخرجي وتجعلي والدي يكفُّ عن المهزلة في الشّارع! اندفع إليه وقال بصوتٍ عالٍ سمعَهُ كلّ من في الشّارع "أنتَ الرجل الّذي أخذ مني ابنتي!"، فتوقّف الجميع، وتحلّقوا حولنا.. باللّه عليكِ! افعلي شيئاً وأوقفيه!!

(يعود نوكس وبرفقته ضابط بحريةٍ شابٍ حسن المظهر).

مارغريت: عذراً منكَ يا سيِّد دوقاليه! يا للخجل الّذي أصابني! أمّاه.. هذا السَّيِّد دوقاليه، وقد كان لطيفاً جدّاً معي.. أقدّم إليكَ أمي! **(ينحني دوقاليه).**

نوكس: رجلٌ فرنسيٌّ! وهذا ما كان ينقصنا!

مارغريت: (**تشعر بانزعاجٍ كبيرٍ**) أيمكنكَ يا والدي أنْ تحسن التصرّف مع سيِّدٍ خدمني خدمةً كبيرةً؟ ماذا يمكن أنْ يقول فينا؟

دوڤاليه: (**بابتهاجٍ**) لكنَّ هذا أمرٌ عاديٌّ؛ فأنا أفهم مشاعر السَّيِّد نوكس فهماً تامَّاً. (**يتحدَّث الإنكليزيّة أفضل من نوكس، وكان تعلَّمها في كِلا طرفي الأطلسيّ**).

نوكس: لو كنتُ أخطأتُ لاعتذرتُ؛ لكنَّني أريد أنْ أعرف أين كانت ابنتي في الأربع عشرة ليلةً التي مضت.

دوڤاليه: كانت في مكانٍ آمنٍ جدّاً، وتيقَّن من ذلك.

نوكس: أتخبرني ما هو هذا المكان؟ وعندها سأحكم بنفسي مقدار أمنه.

مارغريت: سجن هولواي، أهذا آمنٌ كفايةً؟!

نوكس وعقيلته: سجن هولواي!!؟

نوكس: انضممتِ إلى مؤيّدي منح النساء حقّ التصويت!

مارغريت: يا ليت! بل مررتُ بالتجربة نفسها مع صحبةٍ أفضل.. تفضَّل بالجلوس سيِّد دوڤاليه! (**تجلس بين الطَّاولة والأريكة، وتجلس السَّيِّدة نوكس المضطربة عند الطرف الآخر من الطَّاولة، أمَّا نوكس فيبقى واقفاً في وسط الغرفة**).

دوڤاليه: (**وهو يجلس على الأريكة**) الأمر تافهٌ.. يمكن أنْ تقول إنَّها مغامرة تافهةٌ.

مارغريت: فتاة سكرانة تعتدي على شرطي! أربعون شلناً، أو السَّجن شهراً!

السَّيِّدة نوكس: من اتهمكِ يا مارغريت بمثل هذه التهم؟

مارغريت: الشّرطيّ الَّذي اعتديتُ عليه.

نوكس: أتقصدين حقَّاً أنَّكِ اعتديتِ عليه؟

مارغريت: أجل، وكنتُ راضيةً عمَّا أفعله طيلة الوقت.. كسرتُ له سنّين.

نوكس وتقعدين هنا وبكلِّ هدوء وأنتِ تخبرينني بهذا؟

مارغريت: حسناً.. أين تريدني أنْ أقعد؟ وما الفائدة من قولكَ هذا؟

نوكس: ابنتي في سجن هولواي!!

مارغريت: كلّ فتاة هناك ابنة أحدهم.. حقّاً يا والدي! عليكَ أنْ تقتنع بهذا. لو كنتَ أمضيت في تلك الزنزانة أربعَ عشرةَ ليلةً تفكّر في الأمر، لفهمتَ أنَّني الآن لستُ في مزاجٍ جيّدٍ حتَّى أتقبَّل منكَ رفضكَ لما فعلت، فهذا ما يحصل لكلّ النَّاس وفي كل يوم، وأنتَ تقرأ عنهم في الصُّحف وترى أنَّه لا بأس في ذلك، غير أنّه حصل معي، وهذا كلّ ما في الأمر.

نوكس: **(يتكابر على ضعفه)** ولكن كان يجب ألاَّ يحصل لكِ ذلك.. ألا تعرفين؟

مارغريت: إنَّ ما أعرفه إنَّ هذا يجب ألاَّ يحصل مع أحد، ولكنَّه يحصل. **(تقف متململةً)** وأودُّ حقّاً أنْ أخرج إلى هناك وأعتدي على شرطيّ آخر، على أنْ أبقى هنا وأظلُّ أكرّر الكلام وأعيده أمامكَ، فإنْ أردتَ أنْ تطردني من المنزل فافعل، وكلَّما خرجتُ منه أبكر كان أفضل.

دوڤاليه: **(يقف بسرعةٍ)** هذا مستحيلٌ يا سيِّدتي!! فلوالدكِ منصبٌ يجب أنْ نأخذه بعين

الاعتبار، فإنْ طردَ ابنته خارج منزله فسيدمره هذا اجتماعيّاً.

نوكس: آه!! لفَتَّ انتباهنا لهذا!!.. وما علاقتكَ أنتَ؟ إنْ سمحتَ لي بالسّؤال؟

دوڤاليه: علاقتي أنَّكَ دعوتني، وألححتَ في ذلك، ولكن عليكَ ألاَّ تقلق بشأني. إنَّ ما يهمني الحادثة الَّتي أدَّت إلى سجن ابنتكَ، فقد سجنوني أربعة عشر يوماً ومن دون خيار دفع الكفالة، وعلى أساسٍ واهٍ؛ وهو أنّي كنتُ سألكم شرطيّاً، وكان من دواعي سروري أنْ أفعل ذلك، غير أنّي وجدتُ نفسي أرفسه رفسةً ساحقةً على أذنه، فاتهموني بارتكاب فعلٍ جبانٍ، في حين أنَّ الآنسة نوكس، والَّتي استخدمت قبضتها، حصلت على شهرٍ في السّجن مع إمكانيّة دفع الكفالة، ولم أكن أعرف هذا حتَّى خرجتُ، فدفعتُ كفالتها، وها نحن ذا!

السَّيِّدة نوكس: عليكَ يا جو أنْ تدفع للسَّيِّد ما دفعه!

نوكس: (**يحمرّ غاضباً**) بالطبع! (**يخرج بعض المال**).

دوڤاليه: رجاءً! لا بأس في ذلك! (**يسلّمه المال**) إنْ كنتَ

تلـحّ علـيّ.. (**يأخـذ المـال ويضـعه في جيبـه**) شكـراً لكَ!

مارغريت: أدين لكّ بذلك طيلة حياتي يا سيِّد دوڤاليه!

دوڤاليه: أيمكن أنْ أمدَّ لكِ يد العون يا آنستي؟

مارغريت: أرى أنْ تتركنا نتجادل في ذلك، إن سمحت!!

دوڤاليه: كما تشائين يا آنسة! (**ينحني لها**) سيِّدتي! (**ينحني**) سيِّدي! (**ينحني**) (**يخرج**).

السَّيِّدة نوكس: لا تدقّ الجرس، بل رافق السَّيِّد بنفسكَ.

(**يرافق نوكس ضيفه دوڤاليه إلى الخارج. تتبادل الأم وابنتها النظرات بصمتٍ وهما عابستان، تجلس السَّيِّدة نوكس ببطء، ومن ثمَّ تماشيها ابنتها، ومن ثمَّ تشرعان تتبادلان النَّظر بعبوسٍ. يعود السَّيِّد نوكس**).

نوكس: (**بنبرةٍ شديدةٍ صارمةٍ**) أميليا! هذا عملكِ! (**إلى مارغريت**) سأتركك إلى والدتكِ.. وسأبدي رأيي في هذا الموضوع حين أسمع ما ستقوله لكِ. (**يخرج بهدوءٍ وهو يشعر بالمهانة**).

مارغريت: (**تضحك ضحكةً صغيرةً بمرارةٍ**) كما قالت لي الَّتي تنادي بحقّ المرأة في الاقتراع في هولواي «سيحمّلكِ مسؤولية ما يحدث».

السَّيِّدة نوكس: (**بغضبٍ**) مارغريت!!

مارغريت: تعرفين أنَّ ما أقوله صحيحٌ.

السَّيِّدة نوكس: إنْ كنتِ ستقسين عليَّ في الكلام، فسأبقى صامتةً ولن أقول شيئاً.

مارغريت: لا يا والدتي، أنا لا أقسو في الكلام، لكنَّني لا أستطيع الهذر فيه، فهو كما ترين حقيقةٌ واقعةٌ بالنسبة إليَّ، وعانيتُ فيها الأمرَّين؛ فقد صُفِّدت يداي، فصرختُ من ألمي، ثمَّ رموني بالسّجن، في زنزانةٍ قذرةٍ مع العديد من الأشقياء أمثالي، وكأنَّهم يرمون كيس فحمٍ في مستودع المؤونة، والفارق بيني وبين الآخرين انَّني قاومتهم وقاتلتهم، نعم.. فعلتُ، بل فعلتُ الأسوأ؛ فلم أتصرف كما تتصرف الفتيات المتربيات؛ فقد شتمتهم وسببتهم. وسمعتُ ألفاظاً لم أكن أعرف أنَّها موجودة، ألفاظاً خرجت من فمي وكأنَّ شخصاً آخر غيري تلفَّظها، والشّرطي ردَّدَ هذه الألفاظ في المحكمة، فقال القاضي أنَّه لا يصدق ماذا يسمع، فمدَّ له الشّرطي يده وفيها الأسنان الَّتي كسرتُها له، فقلتُ

للقاضي إنَّه لا بأس في حكمه، لأنَّني سمعتُ نفسي أتفوَّه بهذه الألفاظ، وكنتُ حصلتُ على جائزة حسن السّلوك ثلاث مرّاتٍ متتاليةٍ في المدرسة، فأعادني ذلك المحترم إلى زنزانتي إلى أنْ يعرفوا هويتي، ويتبيّنوا حالَّتي العقليّة، فلم أعتذر للشّرطي - طبعاً - عمَّا فعلتُه وقلتُه، ولم أعوِّض له شيئاً.. لا، لم أندم، والشيء الوحيد الَّذي أرضاني في تلك الواقعة أنَّني لكمتُ فم ذلك الشّرطيّ، واعترفتُ بهذا، فحاكموني، فأنا إذن لستُ تلك الفتاة الَّتي عرفتِها، وأنا لستُ تلك الفتاة الَّتي عهدتُ نفسي أنْ تكون، ولا أعرف من أيّ صنفٍ من النساء أنتِ، ولا من أيّ صنفٍ من الرِّجال أبي. أسأل نفسي ما الَّذي سيقوله أو يفعله إنْ واجه شرطيّاً غاضباً يلوي له ذراعه بيدٍ، ويدسره من قفاه باليد الأخرى؟ ومع ذلك فلن يستطيع أن يلوي ساقه ويطلقها ليرفس الشّرطي على خوذته رفسةً تطوِّح به أرضاً.. آه! لو قاتل الجميع كما قاتلنا لاستطعنا هزيمتهم!

السَّيِّدة نوكس: ولكن من بدأ بتلك المعمعة؟

مارغريت: لا أعرف.. كلّ ما قالوه إنَّها كانت ليلة سباق الزوارق.

السَّيِّدة نوكس: ليلة سباق الزوارق!! وما دخلكِ أنتِ بسباق الزوارق؟ فأنتِ ذهبتِ مع عمّتكِ إلى قاعة ألبرت لحضور مهرجان الخلاص[1] الكبير، وحرصَت أنْ تضعكِ في الحافلة الَّتي تعبر قبالة منزلنا، فما الَّذي جعلكِ تنزلين منها؟

مارغريت: لا أعرف.. ضجرتُ من المهرجان ومللتُ، وأظنُّ أنَّ السبب كان الغناء، فكما تعرفين أنا أحب الغناء، ورأيتُ أنَّه عيبٌ علينا أنْ نرجع إلى البيت بعد هذا الغناء الجميل الأخَّاذ عن صعودنا إلى الجنة بالأدراج الذَّهبيّة، فأردتُ المزيد من الموسيقا، والمزيد من السَّعادة، والمزيد من الحياة، أردتُ رفيقاً لي يشعر كما أشعر، ويرى كما أرى.. شعرتُ بالإثارة والنشوة، وبدا لي أنَّني لا أخشى شيئاً، وعلى كلّ حال، ماذا يمكن أنْ يفعله النَّاس ضدَّ

---

[1] Salvation Festival. (المترجم).

رغباتي، وعلى افتراض أنَّني معتوهة، فترجَّلتُ من الحافلة عند سيرك البيكادلّي، إذْ رأيتُ أضواءً كثيرةً، وهرجاً ومرجاً يغشيان المكان، وقصدتُ بعدها المسرح الكبير.

السَّيِّدة نوكس: (**بخوفٍ**) المسرح!!

مارغريت: أجل، وكثيرٌ من النساء قصدن المسرح وحدهن.. كان عليَّ أنْ أدفع خمسة شلنات.

السَّيِّدة نوكس: (**بخوفٍ أشدّ**) خمسة شلنات!!

مارغريت: (**بنبرة اعتذار**) كان مبلغاً كبيراً.. كان المكان مزدحماً يغصُّ بأناسٍ سمجينٍ لا يعرفون المتعة والسرور، فكرهتهم ونفرتُ منهم، لكنَّ خشبة المسرح كانت رائعةً، والموسيقا جميلةً. ورأيتُ هناك ذاك الفرنسيَّ السَّيِّد دوڤاليه متكئاً على جدار، ويدخّن لفافةً.. بدا سعيداً جدّاً، ولطيفاً جدّاً، فاقتربتُ منه، ووقفتُ بجانبه، وأنا آمل أنْ يكلّمني.

السَّيِّدة نوكس: (**تشهق**) مارغريت!!

مارغريت: (**تتابع كلامها**) ففعل، وكأنَّه يعرفني منذ

سنين، فتحادثنا كأصدقاء قدامى، وطلب مني أنْ أشرب معه بعض الشمبانيا، فقلتُ له إنَّ ذلك سيكلّفه مالاً كثيراً، وأنَّني على استعداد لفعل أيّ شيءٍ حتَّى أرقص، إذْ كنتُ أتوق لمشاركة النَّاس الرَّقص على خشبة المسرح، وكان أحد أولئك من أجمل الراقصين الَّذين رأيتهم في حياتي، فلمَّا انتهينا ذهبنا إلى حيث يرقصون، وقصدنا مكاناً فيه فرقة تتحضَّر للرقص، وكانت النساء هناك راغباتٌ في إظهار أثوابهن الجميلة المزخرفة، فلم يرقص منهن إلاَّ القليل، لكنَّنا رقصنا ورقصنا حتَّى انضمَّ إلينا الكثير منهن.. استطرنا فرحاً ونشوةً، ومن ثمَّ شربنا الشمبانيا. لم أستمتع في حياتي كما استمتعتُ في ذلك اليوم.. لكنَّ طلبة أوكسفورد وكامبردج أفسدوا علينا مرحنا من أجل سباق الزَّوارق، وكانت عقولهم مثقلة بالخمرة، فحطَّموا كلَّ شيء، فجاءت الشّرطة، فازداد الأمر سوءاً، وتقاتل التلاميذ والشّرطة، فردَّت الشّرطة بوحشيةٍ مفرطةٍ، ورموهم إلى الخارج، ثمَّ هاجموا النساء اللَّواتي لا علاقة لهنَّ بالأمر، وعاملوهنَّ كما

عـاملوا الطلبـة. فـلاح الغضـب علـى وجـه دوڤاليه، فتشاجر والشّرطي الَّذي كان يدفع امـرأةً، مـع أنَّهـا كانـت تسـير بسـرعةٍ وهـدوءٍ قدر المستطاع، فرمى الشّرطي المرأة خارجاً، وانقلب إلى دوڤاليه، فما كان من دوڤاليه إلاَّ أنْ طوَّحَ بساقه ورمى الشّرطي أرضاً، فاندفع إليه ثلاثة رجال شرطة، وحملوه من ذراعيه وسـاقيه ووجهـه إلى الأرض، وهـاجمني شـرطيّان آخـران ودفعـاني إلى البـاب، فأثـار ذلـك حفيظتي، وجعـل الـدَّم يغلـي في رأسـي، فلكمـتُ أحـدهما، فـذعر الآخـر، فـدفعاني خارجـاً إلى الشَّـارع، ومـن ثمَّـة إلى المخفـر. ركلـوني، ولـووا ذراعـيَّ، وشـتموني، وأهـانوني، ونبزونـي بألقـابٍ قبيحـةٍ قـذرةٍ، فـأخبرتُهم برأيـي بهـم، فـازدادوا غضـباً مـني ونقمـةً.. ثمَّـة شـيءٌ واحـدٌ جيـدٌ في تعرضـكَ للضرب والتعذيب؛ أنَّك تغطُّ في النَّوم، فنمتُ مـع بقيـة المخمـورين في الزنزانـة، ولا أسـتطيع أنْ أصف لكِ الشعور الَّذي خامرني في الصَّباح التَّـالي؛ كـان شـعوراً فظيعـاً، لكـنَّ رجـال الشّرطة كـانوا جميعـاً سـعداء، وقـالوا إنَّ مـا

حصل لهو من المرح الإنكليزيّ، وتحدّثوا عن سباق الزوارق في السنة الماضية، حين ازداد الوضع سوءاً، بل أسوأ مما كان عليه في الليلة الماضية.. غطّت الكدمات جسدي، وشعرتُ بالمرض والغثيان، لكنَّ الغريب في الأمر أنَّني لم أكن آسفةً عمَّا جرى، ولستُ آسفةً عليه الآن؛ فأنا لا أشعر بأنَّني أخطأتُ **(تقف وتمدِّدُ يديها بنفسٍ عميقٍ)** أفخر الآن بما فعلتُ، مع أنَّني أعرف أنَّني لستُ آنسةً محترمةً. **(ترمي نفسها على ركنٍ من أركان الأريكة)**.

السَّيِّدة نوكس: **(مستغربةً مستعجبةً)** كيف استطعتِ فعل هذا يا مارغريت؟ أنا لا ألومكِ، بل أريد أنْ أعرف.. كيف استطعتِ فعل هذا؟

مارغريت: لا أعرف.. لا أعرف كيف، الصَّلاة حرَّرتني، لم أكن لأفعل شيئاً لولا الصَّلاة.

السَّيِّدة نوكس: **(برعبٍ شديدٍ)** لا تقولي مثل هذا!!

أعرف أنَّ الصَّلاة تحرّرنا، ومع أنَّكِ لن تفهمي ما سأقول، فإنَّ الصَّلاة تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر.

مارغريت: إذن ما فعلتُه لم يكن منكراً.. حين كنتُ في المدرسة كنتُ فتاةً صالحةً كما قلتِ، لكنَّني لم أكن حرّةً، فلمَّا تحرّرتُ نفسي النَّاس عنّي الصَّلاح، لكنَّني لا أرى ضيراً فيما فعلتُه، مع أنَّني أرى ضرر النَّاس فيَّ.

السَّيِّدة نوكس: آمل ألاَّ تنظري إلى نفسكِ أنَّكِ بطلة الرّومانسيّة!

مارغريت: لا! لا! (**تقعد ثانيةً على الطَّاولة**) أنا بطلة الواقع.. بطلة الحقيقة، إنْ كنتِ تدعينني بطلةً، والحقيقة مرّةٌ قاسيةٌ، ورائعةٌ بهيةٌ في الوقت نفسه.

السَّيِّدة نوكس: لا أحبُّ هذه الرّوح الَّتي فيكِ، ولا أحبُّ هذه النّبرة!

مارغريت: لا فائدة يا أمّي! فأنا لا أهتمّ لأمركِ، ولا لأمر أبي، لكنَّني لن أحدِّثكِ بهذه النبرة ثانيةً، فقد نزلتُ دركةً إلى الجحيم[1].

---

[1] يُطلق هذا التعبير مجازاً على كلّ حالة عذابٍ، أو اضطرابٍ، أو خرابٍ. (المترجم).

السَّيِّدة نوكس: مارغريت! حذارِ!!

مارغريت: كان عليكِ أنْ تستمعي إلى الألفاظ الَّتي لفظناها في تلك الليلة، وعليكِ أنْ تخالطي النَّاس الَّذين لا يعرفون ألفاظاً سواها، غير أنَّني لم أشتم أحداً حين قلتُ: "نزلتُ دركةً إلى الجحيم"، وكنتُ جادَّةً فيه مثل الكاهن.

السَّيِّدة نوكس: لكنَّ الكاهن يراعي نبرته حين يتلفَّظ أمثال تلك الألفاظ.

مارغريت: أعرف، لكنَّني لا أهتمُّ لأمرهم، والجحيم بالنسبة إليَّ واقعٌ حقيقيٌّ، وأراني لا أكلّم النَّاس إلاَّ بهذا الأسلوب. على كلّ حال، فقد كنتُ هناك، ويبدو لي أنَّ لا شيء يستحقّ الآن أن نخلّص النَّاس منه[1].

السَّيِّدة نوكس: إنْ اختار النَّاس أن يؤمنوا به، عندها يتحرَّرون منه.

مارغريت: وما الفائدة إنْ لم يختر النَّاس الإيمان به!؟ فأنتِ لا تؤمنين به، فما فائدة التظاهر

---

[1] تقصد أنْ نحرّر النَّاس من الجحيم الَّذين يعيشون فيه. (المترجم).

والادعـاء؟ فـنحن لا نعـرف سـوى التظـاهر والادعـاء، وأحمـد اللّه الَّـذي حرّرنـي منهمـا نهائيّاً!

السَّيِّدة نوكس: (**بإعياءٍ كبيرٍ**) لا تتحدثي يا مارغريت هكـذا!! فأنـا لا أحتمـل سماعـكِ تتحـدثين بخبـثٍ.. أسـتطيع احتمـال سمـاع الأطفـال يتحدثون كما تحدّثتِ، ولكـن حين أسمعكِ تسوّغين خبثكِ بكلماتٍ لطيفةٍ فاضلةٍ، فهذا يفـزعني كـثيراً، ويبـدو لـي وكـأنَّ الشّيطان يهـزأ مـن الـدّين. حاولـتُ أنْ أربيـكِ لتعـريفِ السَّـعادة في الـدّين، وانتظـرتُ سـنين طويلـةً لتدركي أنَّ السَّعادة في أنفسنا، ولا تـأتي من الملـذَّات والمسـرَّات.. دعـوتُ اللّه أنْ يـنير لـكِ قلبكِ، فانقلبت كل دعواتي واستحالت كلّ آمالي إلى هذه الحال، فلا أعرفُ ما العمل.. حقّاً لا أعرف! وهذا ما سوف يقتلني.

مارغريت: ما كان عليكِ أنْ تدعي اللّه لينير قلبي إنْ لم تكـوني تريـدين ذلـك، فأنـا أرى أنَّ اللّه ردَّ عليكِ دعوتكِ، ولم يستجب؛ لأنَّني لن أعود قطّ إلى ما كنتُ عليه، ولن أتحدّثُ بالنبرة

الَّتي كنتُ أتحدَّثُ بها، فقد تحرَّرتُ من عادات هذا المنزل القديمة البالية، وتقاليده السَّقيمة، وادعاءاته الباطلة، وأنا أعلم الآن أنَّني أشدُّ منكِ ومن والدي.. أنا لم أجد تلك السَّعادة الَّتي في داخلي كما تقولين، لكنَّني وجدتُ القوة.. أنا الآن حرَّةٌ وإنْ كان للصَّالح أو للطَّالح، ولن تقيّدني الأغلال الَّتي قيّدتني سابقاً.

(يعود نوكس وهو عاجزٌ عن كبت حيرته وقلقه).

نوكس: إلى متى تريدينَ منّي أنْ أنتظر يا أميليا؟ أتظنّين أنّي مخلوقٌ من حديد؟ ما الَّذي فعلَته الفتاة؟ وما الَّذي ستفعلينه؟

السَّيِّدة نوكس: فقدتُ السَّيطرة عليها يا جو، وكذلك أنتَ، حتَّى أنَّني لا أستطيع أنْ أدعو اللّه لها؛ فأنا لا أعرف ما الدّعاء.

نوكس: كفاكِ هذراً يا امرأة! أهذا وقت الدّعاء؟ أيعرف أحدٌ بالأمر؟ هذا ما يجب علينا أنْ نفكّر فيه الآن، فلو استطعنا أنْ نخفيه فلن يهمني بعدها أيّ شيءٍ آخر.

مارغريت: لا تأمل بهذا يا أبي؛ فأنا سأخبر الجميع.. يجب أنْ نخبرهم بالأمر، يجب علينا أنْ نخبرهم.

نوكس: أمسكي عليكِ لسانكِ ايّتها المثيرة للمتاعب!! أو اخرجي من منزلي حالاً!

مارغريت: أنا على أتمّ الاستعداد. (**تلتقط قبعتها وتقصد الباب**).

نوكس: (**يرمي نفسه قبالتها**) حسبكِ! إلى أين تذهبين؟

السَّيِّدة نوكس: (**تقف**) عليكَ ألاَّ تطردها يا جو، فإنْ ذهبت سأذهبُ معها.

نوكس: ومن الَّذي يريد طردها!؟ ولكن هل ستدمرنا؟ أنْ تخبر الجميع بما فعلَته من شينٍ وعارٍ؟ أتريدُ أنْ تقوِّض ذلك النّفوذ وتلك السّلطة الَّتي بنيتها لي ولكم خلال أربعين سنة من النضال والصّراع؟

مارغريت: نعم، سأقوّض كلَّ ذلك، فذلك ما يقف بيننا وبين كلّ شيء.. سأخبر الجميع..

نوكس: يا بنيتي!.. لا تجعلي أنف أبيكِ في التراب! ولا

تملئي قلبه حزناً وشقاوةً! فكلّ ما أهتمُّ به في هـذا العـالم الآن، أنْ أُبقـي الأمـر طـيَّ الكتمان.. أنا والدكِ.. وأرجوكِ أنْ تفعلي ما أقول!

مارغريت: بل سأخبر الجميع!!

(ينهار نوكس واليأس يتقسَّمه. تحاول السَّيِّدة نوكس أنْ تدعو الله وتصلّي له لكنّها تفشل. تقف مارغريت من دون أنْ تتأثّر).

الفصل الثالث من مسرحيِّة فاني

في غرفة الطَّعام في بيت غِلبي عصراً. الطَّاولة خاليةٌ من الطَّعام، عليها قلمٌ، ودفترٌ، وكتبٌ مدرسيّةٌ. يقعد بوبي غِلبي على متَّكأ قبالة الموقد، يقرأ في صحيفةٍ مصوَّرةٍ. هو شابٌ بهيُ الطَّلعة، تبدو عليه مخايل النبل، حسن التركيب خلقةً، فَرَضَ والداه عليه قيوداً منزليَّةً سمّوها (التربية)، فلم يتعلَّم منها غير الملاوصة، والخداع، والمخاتلة.

يقف ليقرع الجرس، ومن ثمَّ يعود ليتابع القراءة. يجيب دجِغنز على الجرس

بوبي: دجِغنز!

دجِغنز: ماذا يا سيِّدي!؟

بوبي: (**بنبرةٍ تهكميّةٍ كئيبةٍ**) اللّعنة على السَّادة!!

دجِغنز: (**بمرحٍ**) لا، على الإطلاق يا سيِّدي.

بوبي: أنا نكرة، أمَّا أنتَ فرجلٌ محترمٌ.

دجِغنز: لا يهمُّ يا سيِّدي، فوالدكَ يدفع لي لأناديكَ

سيِّدي، وحين أتسلّم المال أحافظ على ما اتفقنا عليه.

بوبي: أتناديني سيِّدي إنْ لم يدفع لكَ!؟

دجِغنز: لا يا سيِّدي!

بوبي: كنتُ أحادث دورا عنكَ.

دجِغنز: حقّاً يا سيِّدي!!

بوبي: أجل، دورا تقول إنَّ اسمكَ لا يمكن أنْ يكون دجِغنز، وأنَّ لديكَ أخلاق الرِّجال الأسياد، أمَّا أنا فأراكَ بلا أخلاق، وعلى كلّ حال فإنَّ أخلاقكَ تختلف عن أخلاق الأسياد في نظري.

دجِغنز: صدقتَ يا سيِّدي!

بوبي: أظنُّ أنَّه لا مانع عندكَ أنْ تكون مدار حديث دورا.

دجِغنز: لا يا سيّدي.

بوبي: **(يرمي الصَّحيفة على الأرض، ثمَّ يرفع ركبتيه فوق ذراع الكرسي ليدور باتجاه الخادم)** جزءٌ من صفقتكَ أنْ تخدمني، أليس كذلك؟

دجِفنز: أجل يا سيِّدي!

بوبي: حسناً، أيمكنكَ إذن أنْ تخبرني عن خير طريقةٍ للتملّص من الارتباط بفتاةٍ، ومن دون أنْ يوبخوني لنكثي بوعدي بالزواج منها، أو أنْ أتصرَّف كنذلٍ؟

دجِفنز: لا يا سيدي، لا يمكن أنْ تتملَّص من هذا الارتباط من دون أنْ تتصرف كنذلٍ إنْ كانت الفتاة تودُّ أنْ تربطكَ بها.

بوبي: لكنَّ زواجي بها لن يسعدها ما دمتُ لا أحبّها.

دجِفنز: لا تتزوج النساء من أجل السَّعادة دائماً يا سيدي؛ فهنَّ غالباً ما يرغبن بالزواج ليقال عنهنَّ متزوجاتٍ ولَسْنَ عانسات.

بوبي: وما العمل إذن؟

دجِفنز: تزوجها يا سيّدي، أو تصرَّف كالنذل.

بوبي: (**يقفز على قدميه**) لن أتزوجها أبداً! ماذا كنتَ ستفعل لو كنتَ مكاني؟

دجِفنز: سأخبر الفتاة بأنَّني لا أستطيع أنْ أفي بوعدي.

بوبي: ولكن عليكَ أنْ تختلق عذراً ما؛ عذراً كيّساً لائقاً؛ كأنْ أقول لها إنَّني لا أستحقُّها، أو شيئاً كهذا.

دجِغنز: هذا ليس عذراً لائقاً يا سيدي، بل العكس تماماً.

بوبي: أنا لا أرى ذلك.. أتقصدُ أنَّني لا أستحقُّها؟

دجِغنز: لا، على الإطلاق يا سيدي!

بوبي: يمكن أنْ اقول لها إنَّه لا يمكن لأي فتاةٍ في العالم أنْ تحلَّ محلَّها في قلبي، وهذا صحيحٌ تمام الصِّحَّة؛ لأنَّ ظروفنا ظروفٌ استثنائيّة، وستتخيَّل أنَّني مغرمٌ بها أكثر من أيّ فتاةٍ أخرى. أرأيتَ يا دجِغنز! على السَّيِّد أنْ يراعي مشاعر الفتاة.

دجِغنز: إنْ أردتَ يا سيِّدي فتزوجها، وإنْ آذيتَ مشاعرها برفضها ونبذها، فالأفضل لكَ ألاَّ تدَّعي أنَّكَ تراعي مشاعرها، فلن يطيب لها ذلك، ومن ثمَّ ستتجادلان، وستزيد الطِّين بلَّةً.

بوبي: لكنَّني حقاً لستُ جديراً بها.

دجِغنز: لعلَّها تراكَ جديراً بها.

بوبي: آهٍ ! أنتَ متفائلٌ يا دجِغنز.

دجِغنز: **(يستعدُّ للذَّهاب)** أيُّ شيءٍ آخر يا سيّدي؟

بوبي: **(بتبرّمٍ)** لم تكن مفيداً جدَّاً لي. **(يذرع الغرفة جيئةً وذهاباً)** من عادتكَ أنْ تهديني إلى الصواب.

دجِغنز: ثقْ يا سيدي أنّه ليس في الملاوصة أيُّ صواب، فالملاوصة في حدِّ ذاتها خطأ.

بوبي: **(بنبرة أملٍ)** سأقول لكَ شيئاً سأخبرها أنَّني لا أستطيع أنْ ألزمها بالارتباط برجلٍ كان مجنوناً.. هذا يفي بالغرض. **(يقعد على الطاولة وهو يشعر بالراحة والثّقة)**.

دجِغنز: هذا خطيرٌ جدَّاً يا سيِّدي؛ فالنساء لا يحرمنَ أنفسهنَّ لذَّة المسامحة والغفران والتضحية بالنفَّس، وستخبركَ أنَّ شقاءكَ وبؤسكَ يقرّبانها منكَ.

بوبي: سحقاً! لا أعرف ماذا أفعل. أسلوبكَ الهادئ الرزين لن يلقى قبولاً في دِنْمارك هِلّ.

دجِغنز: صدقتَ يا سيِّدي. لا ريب أنَّكَ تفضِّل أنْ

تقنعها أنَّ ما ستفعلُه هو تضحيةٌ منكَ لأجلها، أو اقنعها بأنْ تنفصل هي عنكَ، وكلتا الخطَّتان مجرَّبتان كثيراً، ولكنَّهما حسب علمي فاشلتان.

بوبي: لديكَ أسلوبٌ خبيثٌ ماكرٌ في إيجاد الحلول، أمَّا أنا فأرى أنْ أنهي الأمر، فدِنْمارك هِلَ ليست كامبرويل[1].

دجفنز: لاحظتُ ذلك يا سيدِّي، ففي دِنمارك هِلّ كلَّما علَتِ الطبقةِ الاجتماعيّة قلَّ الإخلاص بين النَّاس، والرعاع والمومسات هم المخلصون، وهذا خطأ؛ فالمومسات لا يستحين، وهنَّ فاقداتٌ للإخلاص. والمترفون يمضون أوقاتهم في القمار، إنْ سمحت لي باستخدام هذه الكلمة المناسبة لأعبِّر بها عن الطبقة المخملية، وإنْ أخبرتَ الفتاة إنَّكَ تاركها فستسميكَ وغداً حقيراً، أمَّا إنْ قلت لها إنَّك لست جديراً بها فهذا أقرب إلى كامبرويل.

---

(1) Camberwell. (المترجم).

بوبي: آهٍ! عجزتُ عن جعلك تفهم يا دجِغنز، فالفتاة ليست خادمةً تغسل الأطباق والأواني، وأنا أريد أنْ أفترق عنها بكياسةٍ.

دجِغنز: هذا خطأ يا سيِّدي، صدّقني، فإنْ لم تكن ممثلاً بالفطرة فإنَّكَ... عذراً يا سيَّدي! أظنُّ أنني أسمع صوت الجرس. **(يخرج)**.

(يُدْخِل بوبي يديه إلى جيبيّ سراويله وهو مضطربٌ حائرٌ، ثمَّ ينزل عن الطاولة، ويرنو أمامه، ومن ثمَّ يذهب مكرهاً إلى كتبه ويقعد ليكتب. يعود دجِغنز).

دجِغنز: **(يعلن)** الآنسة نوكس!

(تدخل مارغريت. يخرج دجِغنز).

مارغريت: أما زلتَ تدرس لامتحان الفنون يا بوبي؟ لن تنجح فيه أبداً.

بوبي: **(يقف)** لا، كنتُ أكتب إليكِ.

مارغريت: عن ماذا؟

بوبي: لا شيء.. كيف حالكِ؟

مارغريت: **(تقصد الطرف الآخر من الطاولة، وتضع عليها صحيفة لويد ويكلي وحقيبتها)**. بألف

خيراً شكراً لكَ! كيف استمتعت في بريتون؟

بوبي: بريتون! لم أكن في... آه! طبعاً! استمتعتُ كثيراً. هل عمتكِ بخير؟

مارغريت: أظنُّ أنَّها بخير، لم أرها منذ شهر.

بوبي: ظننتُ أنَّكِ تقيمين معها.

مارغريت: أهذا ما أخبروكَ به؟

بوبي: أجل، لِمَ؟ ألم تكوني تقيمين معها؟

مارغريت: لا، أريد أنْ أخبركَ بشيءٍ. اجلس لنستريح. **(تقعد على طرف الطاولة. يقعد بجانبها، ويطوِّقَ خصرها بذراعه بضجر)**. لا تفعل هذا إنْ لم ترغب يا بوبي؛ افترض أنَّنا ظللنا بقيّة اليوم من دون أن نفعل شيئاً.

بوبي: ماذا تقصدين؟

مارغريت: تعرفُ جيداً ماذا أقصد يا بوبي.. أتهتم لأمري ولو قليلاً كما تفعل الآن بهذه الطريقة؟ فبالنسبة إليَّ أنا لا أهتم لأمركَ بتلك الطريقة.

بوبي: **(يُرجع ذراعه بازدراء)** عذراً منكِ! ظننتكِ تهتمين.

مارغريت: حسناً، أتهتم لأمري؟ أحقاً؟ باللّه عليكَ! تستطيع أنْ تضع ذراعيكَ كما تهوى، لكنني لا أعتقد أنَّكَ تهتم لأمري، وأنا بدوري لا أهتم لأمركَ.

بوبي: أتعنين أننا أجُبرنا على هذا الارتباط إجباراً؟

مارغريت: نعم.

بوبي: حسناً.. ليس السَّبب في الحقيقة أنَنّي لا أهتم لأمركِ، فلا فتاة في هذا العالم يمكن أنْ تحلَّ محلّكِ في قلبي، غير أنَّنا تربينا معاً مثل أخوين، فأنتِ مثل أختي، ولستِ.. أليس كذلك؟

مارغريت: تماماً، كيف اكتشفتَ هذا الفرق؟

بوبي: (**بخجلٍ**) آهٍ! من أحاديث الضمير!

مارغريت: اكتشفتُ الأمر من فرنسيٍّ.

بوبي: من أحاديث الضمير. (**يبتعد عن الطاولة مركّزاً فكره**).

مارغريت: هل اكتشفتَ ذلك من فرنسيّةٍ؟ فلا بَّد من أنَّكَ عرفتَ ذلك من أحدٍ ما.

بوبي: ليست فرنسيّة.. إنَّها امرأةٌ لطيفةٌ، لكنَّها قليلة الحظّ. إنها ابنة الكاهن.

مارغريت: **(تجفل)** آه!.. بوبي! ذاك الصَّنف من النساء!!

بوبي: أيُّ صنفٍ من النساء!؟

مارغريت: أنتَ لا تصدِّق أنَّها ابنة الكاهن.. أتصدِّق حقّاً أنَّها ابنة الكاهن أيّها السَّاذج!؟ يا لها من مزحةٍ سمجةٍ!!

بوبي: أتعنين أنَّكِ لا تصدقينني؟

مارغريت: لا، ما عنيتُه أنَّني لا أصدقها هي.

بوبي: **(يشعر بحيرةٍ وفضول، ويعود إلى مقعده على الطَّاولة بجانبها)** ماذا تعرفين عنها؟ وماذا تعرفين عن ذاك؟

مارغريت: ماذا تقصد بذاك؟

بوبي: الحياة..

مارغريت: اختبرتني الدنيا واختبرتها منذ آخر مرّةٍ رأيتكَ فيها.. أنا لم أكن عند عمّتي.. أقصد تلك المدّة الَّتي قضيتَها أنتَ في بريتون.

بوبي: لم أكن في بريتون يا مارغريت، الأفضل أنْ

أخبركِ بالموضوع، فستعرفين آجلاً أمْ عاجلاً. **(يشرع يعترف لها بتذلّلٍ متفادياً نظراتها)** اسمعيني! الأمر ليس مفخرةً لي على الإطلاق؛ فقد كنتُ في السّجن.

مارغريت: أنتَ!!

بوبي: أجل، أنا! لأنّني كنتُ مخموراً، واعتديتُ على شرطيّ.

مارغريت: أتقصدُ أنّكَ... آه! هذا خذلانٌ كبيرٌ لي. **(تنزل عن الطّاولة منفطرة الفؤاد، ثمّ تقعد على كرسيٍّ عند ركن الطّاولة البعيد عن الموقد)**.

بوبي: وطبعاً لا أستطيع أنْ أجبركِ، وبعد كلّ ما قلتُ لكِ، على البقاء مرتبطةً بي، وكنتُ أكتب إليكِ طالباً الانفصال عنكِ. **(ينزل عن الطّاولة هو الآخر، ويدنو من الموقد ببطء)** أنتِ تظنينني نذلاً دنيئاً بلا ريب.

مارغريت: هل دخل أحدٌ السّجن لأنّه كان مخموراً واعتدى على شرطيّ؟ كم لبثتَ فيه؟

بوبي: أسبوعين.

مارغريت: لهذا السَّبب أدخلوني.

بوبي: عمَّ تتحدثين؟ وإلى أين أدخلوكِ؟

مارغريت: إلى السّجن.

بوبي: لكنَّني جادٌّ، فأنا لا أمزح، أقسم!

مارغريت: ماذا فعلتَ بالشّرطي؟

بوبي: لا شيء.. لا شيء على الإطلاق، فقد بالغ في تصرّفه كثيراً.. ضحكتُ عليه فقط.

مارغريت: **(تقفز من مكانها منتصرةً)** غلبتكَ وانتصرتُ عليكَ!! أمَّا أنا فكسرتُ له سنّين من أسنانه، واحتفظتُ بإحداهما، فاشتراها منّي بعشرة شلنات.

بوبي: هيَّا!! كفاكِ سخريةً!! أخبرتكِ أنَّني لا أمزح. **(يقعد على الكرسي متجهّم الوجه)**.

مارغريت: **(تلتقط صحيفة لويد ويكلي وتذهب إليه)** وأقول لكَ إنَّني لا أمزح أيضاً.. انظر! هذا تقريرٌ عن الحادثة.. الصّحف اليوميّة سيئة، أمَّا الأحديَّة فرائعة. **(تقعد على ذراع الكرسي)** أرأيتَ!؟ **(تقرأ)** «في الثامنة عشرة من عمرها غير أنَّها صلبة العود؛ فتاةٌ جميلةٌ متأنّقةٌ ترفض قول اسمها...»، هذا أنا.

بوبي: أتقصدين أنَّكِ كنتِ تعبثين؟

مارغريت: لم أؤذِ أحداً، ذهبتُ لأشاهد رقصةً جميلةً، فاخترتُ رجلاً لأراقصه.. لا أتخيَّل شيئاً أجمل ولا أسعد من تلك اللّحظات!!.. أمَّا الجانب السّيء من الحكاية ففعلها أناسٌ آخرون، ويمكنكَ أنْ تقول إنَّهم عبثوا عبثاً شديداً.. على كلّ حال، ها نحن ذا! سجينان سابقان يا بوبي، أليس هذا مريحاً؟

بوبي: (**يقف بتشنّجٍ**) ولكن ليس الأمر سيَّان بالنسبة إلى فتاة؛ فيمكن للرجل أنْ يفعل أشياءً لا يمكن للفتاة أنْ تفعلها. (**يقف وظهره إلى الموقد**).

مارغريت: هل صدمكَ يا بوبي وراعكَ ما سمعتَ؟

بوبي: إيه! لا تتوقعين منّي أنْ أوافق على ذلك يا مارغريت، فأنا لم أعرف أنَّكِ من هذا الصّنف من الفتيات.

مارغريت: (**تقف بأنفةٍ**) لستُ كذلك! عليكَ ألاَّ تفكّر بي كما تفكّر بابنة الكاهن يا بوبي.

بوبي: لو تأخذين الأمر على محمل الجدّ! (**تدير**

ظهرها إليه من فورها) وماذا بخصوص الفرنسي!؟

مارغريت: (**تواجهه**) لا أعرف شيئاً عنه غير أنَّه شخصٌ لطيفٌ، يجيد تدوير رجله كما يدور عقرب السَّاعة، وقد أطاح بشرطيٍّ بها. كان معكَ في وورم وود سْكرَبس، وأنا كنتُ في هولواي.

بوبي: لا بأس أنْ تستخّفي بما جرى يا مارغريت، لكنَّه أمرٌ عظيمٌ خطيرٌ، وأنتِ تعرفين هذا.

مارغريت: ألا تتزوج فتاةً كانت سجينة؟

بوبي: (**بسرعةٍ**) لم أقل هذا!! ويمكن أنْ يكون ما حصل لصالح الفتاة، فالفتيات يقعن في المشاكل إنْ لم يتفكَّرن بالعواقب، وكلّ من يعرف سجايا تلك الفتاة وخصالها يتبيَّن له أنَّ لا ضير فيما فعَلَت، لكنَّكِ لستِ من صنف الفتيات المازحات، أو في الأقل لم تتصرفي كذلك في حياتكِ قط.

مارغريت: لستُ أمزح، ولن أفعل أبداً. (**تمشي مباشرةً إليه**) لم أفعل ذلك طلباً للهو والمزاح يا بوب، إنَّما فعلتُه من دون إرادةٍ منّي.. على سجيَّتي..

وفقاً لما أعتقده وأومن به، فأنا فتاةٌ صلبةٌ في الثامنة عشرة كما يقولون. ماذا بخصوص الزواج إذن؟

بوبي: أظنُّ أنَّكِ لا تستطيعين إلزامي به يا مارغريت، ولن أتظاهر طبعاً أنَّني مصدومٍ بما جرى.. أنا لا أحتمل رمي النَّاس بالحجارة، وأستطيع تحمّل المزاح، وغضّ البصر عن الزلاَّت، ما دمنا نفهمها على أنَّها مزحة أو زلّة.. ولكن أنْ نهدم المبادئ، ونقوّض الدّين، فهذا ما أجده ثقيلاً على نفسي يا مارغريت. أرجو ألاَّ تكوني جادَّةً حين تتكلمين هكذا!!

مارغريت: أنتَ لا تصلح لي زوجاً على كلّ حال يا بوبي.

بوبي: (**بازدراء**) أعتذر منكِ يا آنسة نوكس!!

مارغريت: وداعاً سيِّد غِلبي!! (**تستدير وتقصد الطَّرف الآخر من الطَّاولة**) أظنُّ أنَّكَ لن تعرِّفَني إلى ابنة الكاهن..

بوبي: لا أظنُّ أنَّها ترغب في ذلك؛ فهناك حدودٌ. (**يقعد على الطَّاولة وكأنَّه يريد أنْ يستأنف عمله، في إشارة منه أنْ تذهب**).

مارغريت: (**في طريقها إلى الباب**) دقّ الجرس يا بوبي، وأخبر دجِغنز أنْ يرشدني إلى طريق الخروج.

بوبي: (**يحمرّ غضباً**) لستُ وغداً يا مارغريت!!

مارغريت: (**ترجع إلى الطّاولة**) افعل شيئاً لطيفاً إذن لتزيح عنَّا هذا الشّعور البغيض. الأفضل لكَ أنْ تقبّلني، فلن تتاح لكَ الفرصة بعد الآن.

بوبي: إنْ كنتُ لا أصلح لكِ، فلا أرى المتعة في ذلك.

مارغريت: ليس في ذلك أي متعةٍ لي، فإنْ أردتُ المتعة كما تصفها لكنتُ طلبتُ هذا من الفرنسيّ، أو من دجِغنز.

بوبي: (**يقف ويتراجع إلى الموقد**) لا تكوني وقحةً هكذا يا مارغريت!! لا تكوني كالسَّفلة!!

مارغريت: (**تتأهَّب لاستخدام القوة**) الآن.. سأجبركَ على تقبيلي عقاباً لكَ. (**تمسك معصمه وتفقده توازنه، ومن ثمَّ تطوِّق رقبته بذراعها**).

بوبي: لا!! توقفي! دعيني.. لو سمحتِ!

(**يظهر دجِغنز عند الباب**).

دجِغنز: الآنسة دِيلاني يا سيِّدي! (**تدخل دورا. يخرج دجِغنز. تفلت مارغريت بوبي بسرعةٍ، وتنتحي ناحية الغرفة الأخرى**).

دورا: (**من الباب تخاطب دجِغنز المغادر**) كان عليكَ أنْ تخبرني أنَّ هناك رفقةً! (**إلى مارغريت وبوبي**) لا بأس عليكما! لا بأس عليكَ يا صاحبي! سأنتظر في حجرة دجِغنز إلى أنْ تنفصلا.

مارغريت: ألم تعرفيني؟

دورا: (**تذهب إلى وسط الغرفة وتحدّق النّظر إليها**) عجباً! أنتِ لستِ الرقم 406!!

مارغريت: بلى!

دورا: لم أعرفكِ من دون زيّكِ الرسميِّ.. كيف خرجتِ؟ حكموكِ شهراً، أليس كذلك؟

مارغريت: دَفَعَ بعلي[1] الكفالة في اليوم الَّذي خرج فيه.

دورا: يا له من سيِّدٍ محترم! (**وتشير إلى بوبي الَّذي ينظر إليهما مشدوهاً فاغر الفم**) انظري إليه! لا يستوعب ما يحصل.

---

[1] تستخدم مارغريت لفظة bloke العاميّة، وتعني: رجلٌ أو فتى، فرأيتُ أنْ أستخدم لفظة بعلي. (المترجم).

بوبي: أظنُّ أنَّها من معارفكِ في السّجن يا مارغريت، ولكن حين تتكلَّمين عن ذَكَركِ[1] وما إلى هنالك من ألفاظٍ...فالأمر غريبٌ.

مارغريت: تعلَّمتُ هذه اللَّهجة وأحببتُها، وهذا حاجزٌ آخر قد كسرناه.

بوبي: ليس العيب في اللَّهجة يا مارغريت، لكنَّني أظنُّ... (**ينظر إلى دورا، ويتوقف عن الكلام**).

مارغريت: (**تغضب فجأةً**) ماذا تظنُّ يا بوبي!؟

دورا: يظنُّ يا عزيزتي أنَّه يجب أنْ تحذري مني، فالحذر من أمثالي يشرّفه؛ لأنَّه سيِّدٌ محترمٌ كما تعرفين.

مارغريت: يشرّفه! أنْ يهينكِ هكذا! قلْ يا بوبي إنَّكَ لا تقصد ما قلتَ!

بوبي: لم أقل ذلك!

مارغريت: حسناً.. أنكره في نفسكَ إذن!

بوبي: لا، لن أنكر ذلك أمام دورا، لكنَّني أظنُّ أنَّ معرفتي بها ليست كمعرفتكِ بها.

---

(1) يستهجن بوبي استخدام مارغريت لألفاظٍ عاميةٍ سوقيةٍ. (المترجم).

دورا: بالطبع يا صاحبي! (**إلى مارغريت**) سأذهب، ثمَّ أرجع بعد نصف ساعةٍ، ويمكنكما في أثناء ذلك أنْ تتصالحا، فأنا لستُ رفيقةً مناسبةً لكِ يا عزيزتي. (**تستدير لتذهب**).

مارغريت: أتظنّين أنَّه مناسبٌ لي؟

دورا: لن أعارض زواج فتاةٍ زواجاً محترماً، أو أنْ أمنع شاباً لائقاً من الاستقرار، فأنا لدي ضميرٌ حيٌّ، مع أنَّه ليس واضحاً في صدري.

مارغريت: تبدين امرأةً لبقةً، في حين أنَّ بوبي يتصرَّف كوغدٍ حقيرٍ.

بوبي: (**يقطّب**) ما أجمل هذه اللُّغة!!

دورا: الرِّجال يا عزيزتي يفعلون ما بوسعهم من السَّيئات والهنات للحفاظ على احترامهم، ولا يمكننا لومهم على ذلك، قابلتُ بوبي وهو يمشي بصحبة والدته، وبالطبع وبَّخني وعنَّفني، ولن أدّعي أنَّ ذلك أعجبني، ولكن ما عساه يفعل ذلك المسكين!!؟

مارغريت: ويريد مني الآن أنْ أوبخكِ وأعنِّفكِ لينقذ ماء وجهه.. حسناً لن أفعل، وإنْ كان جميع أفراد

أسرتي حاضرين.. لكنَّني سأقطّعه إرباً إنْ لم يعاملكِ باحترام. **(تشير إلى بوبي إشارة تهديد)** سأروّضكَ الآن أيّها الوحش الشَّاب!!

بوبي: **(غاضباً)** من الَّذي تدعينه الوحش الشَّاب!؟

مارغريت: أنتَ!

دورا: **(تحاول إصلاح ذات البين)** عزيزتي!

بوبي: احذري ممَّا تقولين، وإلاَّ كسرتُ لكِ رأسكِ!

مارغريت: إنْ لم تحذر أنتَ ممَّا تقول، فستكون سِنّ الشّرطيّ بداية مجموعةٍ أجمعها.

دورا: هوِّني عليكِ يا حبّي!!

(يفقد بوبي كلَّ رزانة الكبار فيُخرج لسانه لمارغريت، فتثور كالزوبعة وترميه بصندوق، فيرمي نفسه عليها، ويتصارعان).

بوبي: سأرّوضكِ يا نمرة!

مارغريت: خنزيرٌ متوحشٌ! **(تجبره على التراجع إلى الطَّاولة)**.

دورا: **(تنادي)** دجِغنز! دجِغنز! سيقتلان بعضهما!!

دجِغنز: **(يدفع الباب بقوةٍ وينادي)** السَّيِّد دوڤاليه!!

(يدخل دوڤاليه ، فيتوقف القتال، ويعمُّ صمتٌ بهيمٌ. يبتعد المتصارعان كلٌّ منهما إلى أقصى ركنٍ من الغرفة. يخرج دجغنز).

دوڤاليه: عذراً إنْ قاطعتكما!

مارغريت: لا ، على الإطلاق.. ما أحقركَ يا بوبي!! فالسَّيِّد دوڤاليه سيظنُّ أنَّني أحبُّ القتال.

دوڤاليه: تمارسين الجوجستو، أو نوعاً من المصارعة.. هذا مثيرٌ للإعجاب يا آنسة نوكس! إنَّ المرأة الإنكليزيّة الرياضيّة مثالٌ لكلِّ نساء أورُبة.. **(يكلّم بوبي)** أنتَ بلا شكّ مدربها.. سيِّدي! **(ينحني إليه)**.

بوبي: **(ينحني بحمقٍ)** كيف حالكَ!

دوڤاليه: تماماً.. لاحظتُ ذلك.

مارغريت: بوبي والآنسة... الآنسة...

دورا: دِيلاني يا عزيزتي! **(إلى دوڤاليه بافتتان)** وأنا وعزيزتي صديقتان حقيقيتان.

مارغريت: بوبي ودورا ليسا... حسناً ، ليسا أخاً وأختاً.

دوڤاليه: **(باهتمامٍ كبيرٍ)** تمام!!

مارغريت: أمضى بوبي آخر أسبوعين له في السّجن. أنتَ لا تمانع في هذا، أليس كذلك؟

دوڤاليه: لا، لا؛ فأنا أمضيتُ آخر أسبوعين في السّجن.

مارغريت: ودورا أمضت آخر أسبوعين في السّجن.

دوڤاليه: حسناً، أهنئ الآنسة على إطلاق سراحها!

دورا: merci trop![1] لا داعٍ للكلفة مع بعضنا، أليس كذلك؟

(**يدخل دجِغنز**).

دجِغنز: عذراً منكَ يا سيِّدي! السَّيِّد غِلبي وعقيلته آتيان من أعلى الشَّارع.

دورا: دعوني أذهب!! (**تقصد الباب**).

دجِغنز: إنْ كنتِ ترغبين أنْ تذهبي ومن دون أنْ يراكِ أحد فالأفضل أنْ تقصدي حجرتي، ومن ثمَّ تغادرين.

دورا: (تبدأ الغناء)

خبئـــوني في خزانـــة اللّحـــوم

---

[1] شكراً لك! (المترجم).

إلى أنْ يمضـــــي الشّـــــرطيّ
ودنـــــدنوا الموســـــيقا إلى أنْ
تختفـــــي وقـــــع خطواتـــــه.

(تخرج ماشيةً على أطراف أصابعها).

مارغريت: إنْ كانـت سـتختبئ فلـن أبقـى هنـا دقيقـةً واحدةً، بل سأرافقها إلى الحجرة. **(تتبع دورا).**

بوبي: لنذهب جميعاً، فليس في بقائنا هنا أيّ متعة. أتسـتطيع يـا دجِغنـز أنْ تقـدّم لنـا الشَّـاي في الحجرة؟

دجِغنز بكلّ سرورٍ يا سيِّدي!

بوبي: حسناً، لا تقل شيئاً لوالدتي.. أنتَ لا تمانع إنْ ذهبنا يا سيِّد دوڤاليه؟

دوڤاليه: على الإطلاق!

بوبي: حسـناً.. هيَّـا بنـا! **(عنـد البـاب)** بالمناسـبة يـا دجِغنز أحضر لي الكونسرتينة من غرفتي لو سمحت!

دجِغنز: حاضر! **(يخرج بوبي يتبعه دوڤاليه إلى الباب)** أنـتَ تـتفهم يـا سـيِّدي أنَّ الآنسـة نـوكس هـي امرأةٌ وأيّ امرأة.

دوڤاليه: تماماً، وبخصوص الثانية؟

دجِغنز: ربما قلنا فيها إنَّها تحسن للفقراء، وكما يُقال في لغتكَ الأم تميل للفرح والمجون.

دوڤاليه: هذا ما فكَّرتُ فيه.. هذه العلاقات الداخليّة الأسريّة مثيرةٌ للاهتمام. (**يخرج ويتبعه دجِغنز**).

(**يدخل بعد لحظاتٍ السَّيِّد غِلبي وعقيلته، ويقعدان حيث اعتادا: هو بجانب المصطلى، وهي عند الطَّرف البعيد من الطَّاولة**).

السَّيِّدة غِلبي: أشممتَ عطراً في القاعة يا روب؟

غِلبي: لا، ولا أريد أنْ أشمَّه، لا تسعي وراء المشاكل يا ماريا!

السَّيِّدة غِلبي: (**تتنشَّق الهواء المعطَّر**) كانت هنا. (**يدقّ غِلبي الجرس**) لماذا تدقّ الجرس؟ أتريد أنْ تسأل؟

غِلبي: لا، لا أريد أنْ أسأل، قال دجِغنز هذا الصَّباح إنَّه يريد أنْ يحادثني، فإنْ أراد أن يخبرني ما يحصل فليتفضَّل، لكنَّني لن أسأله، ولن تفعلي أنتِ أيضاً. (**يظهر دجِغنز عند الباب**) قلتَ إنَّكَ تريد أنْ تخبرني شيئاً.

دجِغنز: حين يكون الوقت مناسباً لكَ يا سيِّدي.

غِلبي: إذاً ما الأمر؟

السَّيِّدة غِلبي: يا دجِغنز! نحن نتوقَّع قدوم آل نوكس على الشَّاي.

غِلبي: هو يعرف ذلك. (**يقعد، ثم يخاطب دجِغنز**) ما الأمر؟

دجِغنز: (**يتقدَّم إلى منتصف الطَّاولة**) أيناسبكَ يا سيِّدي إنْ أعطيتكَ بياناً عن شهر؟

غِلبي: (**باندهاش**) ماذا؟ لماذا؟ ألستَ مرتاحاً هنا؟

دجِغنز: مرتاحٌ وراضٍ يا سيِّدي، فأنا لا أسعى إلى تحسين وضعي المادي، تيقَّن من هذا.

غِلبي: لماذا تريد المغادرة إذن؟

دجِغنز: عاملتموني يا سيِّدي هنا أحسن معاملة، فلا أريد منكما أنْ تفهما بياني على أنَّه تعبيرٌ مني على الامتعاض وعدم الرضى، فإنْ فعلتما فسأحزن أشدّ الحزن.

غِلبي: (**بنبرةٍ أبويّةٍ**) استمع إليَّ يا دجِغنز، أنا أسنّ منكَ، فلا ترمِ بالماء الآسن حتَّى تحصل على ماءٍ نقيٍّ، ولا تتكبر على ما أنتَ فيه، أنتَ يا

دجِغنز مثل بقية الخدم في هذه الأيام؛ يظنّون أنَّهم سيعملون أين يشاؤون ما أنْ يرفعوا أصبعاً. لن يعاملكَ أحد مثلما عاملناكَ نحن تأوي إلى فراشكَ في الحادية عشرة، فلا تسمع جرس الباب يقرع إلاَّ يوماً في الشّهر مخصّصاً لزوجتي، ولا أحد يتدخَّل في شؤونكَ وعملكَ. ربما كان منزلنا هادئاً غير أنَّ ماضيكَ العامر بالمغامرات يعوّضك.. خذ بنصيحتي وأعد التفكير في ذلك كرّةً ثانيةً.. أنتَ تناسبني، وأنا مستعدٌ لأجعل البيت يناسبكَ إنْ كنتَ غير راضٍ ولأسبابٍ مقنعةٍ.

دجِغنز: أدرك تلك الحسنات يا سيِّدي، لكن لديَّ أسبابي الخاصّة.

غِلبي: (**يقاطعه بغضب**) حسناً! اذهب! كلَّما أسرعتَ كان أفضل لكَ.

السَّيِّدة غِلبي: ليس قبل أنْ نؤمِّن غيره، سيبقى شهره هذا.

غِلبي: (**بنبرةٍ تهكميّةٍ**) أتريدين أنْ تجعليه يفقد سمعته يا ماريا؟ أتظنين أنَّني لا أعرف السَّبب؟ نحن الآن خريجو سجون. (**يتوجَّه بالكلام إلى دجِغنز**) حسناً، أفترض أنَّكَ تعرف مصلحتكَ،

سآخذ بيانكَ، ثمَّ بإمكانكَ الذهاب ما إنْ ينتهي شهركَ، أو بأيّ وقتٍ تشاء.

دجِفنز: صدّقني يا سيِّدي...!

غِلبي: كفاكَ! لا أريدُ أيّ أعذار.. أنا لا ألومكَ، ويمكنكَ الذهاب الآن إنْ لم يكن لديكَ شيءٌ آخر تزعجني به.

دجِفنز: تيقَّن يا سيِّدي أنَّ لا اعتراض لدي على سجن السَّيِّد غِلبي، ويمكنكَ أنْ تدخل إلى السّجن ستة أشهر، فأهلاً وسهلاً بكَ! ومن دون أي اعتراضٍ مني.. سأغادر بسبب أخي، الَّذي غيَّب الموت ولده، ويشعر بالوحدة، فترجَّاني أنْ أمضي برفقته بضعة شهور إلى أنْ يذهب عنه حزنه.

غِلبي: وهل سيبقيكَ عنده طيلة تلك المدَّة؟ أو أنَّكَ ستنفق مدخراتكَ لتروّح عنه وتجلي أحزانه؟ تعقَّل يا رجل وتفكَّر! كيف يمكنكَ تحمّل ذلك؟

دجِفنز: يستطيع أخي تحمَّل نفقاتي يا سيِّدي، والحقيقة أنَّه يعترض على عملي خادماً عندكم.

غلبي: أهذا سببٌ مقنعٌ لتكون عائلاً عليه؟ لا تفعل يا دجِغنز، بل شُقَّ طريقكَ كإنسانٍ شريفٍ، ولا تأكل من خبز أخيكَ في حين أنَّكَ تستطيع الكسب وحدكَ.

دجِغنز: كلامٌ معقولُ يا سيِّدي، ولكن من سوء حظّي أنَّ من عادات أسرتي أنَّ على الشَّقيق الأصغر أنْ يكون عائلاً على الأخ الأكبر.

غلبي: إذن كلَّما كسرتَ هذه التقاليد كان أفضل لكَ.

دجِغنز: رأيٌ متطرّفٌ يا سيِّدي، لكنّه رائع.

غلبي: متطرفٌ! ماذا تقصد؟ إياكَ يا دجِغنز أنْ ترفع الكلفة معي! وأنتَ تعرف أنَّ شقيقكَ ليس دوقاً.

دجِغنز: لسوء الحظّ، إنَّه كذلك!

غلبي: ماذا؟

السَّيِّدة غلبي: دجِغنز!

دجِغنز: عذراً منكَ يا سيِّدي! الجرس يدق.

غلبي: (**باضطرابٍ شديدٍ**) ماريا! أفهمتِ يا ماريا ماذا يقصد بقوله؟

السَّيِّدة غِلبي: تخيَّل تواضعه معنا! لو زدتَ له راتبه، وعاملته على أنَّه فردٌ من العائلة لبقي!

غِلبي: ويكون لي خادماً يفوقني في الهيئة الاجتماعيّة! ليس أنا من يفعل هذا، ماذا يحصل في العالم؟ ها هو بوبي و...

دجِغنز: (**يدخل ويعلن**) السَّيِّد نوكس وعقيلته!

(يدخل آل نوكس. يأخذ دجِغنز كرسيّين بقرب الجدار ويضعهما بالقرب من الطَّاولة بين المضيف وضيفه، ومن ثمَّ يخرج).

السَّيِّدة غِلبي: (**إلى السَّيِّدة نوكس**) كيف حالكِ يا عزيزتي؟

السَّيِّدة نوكس: بألف خير! شكراً! مساء الخير يا سيِّد غِلبي! (**يتصافحان، تأخذ كرسيها إلى جانب السَّيِّدة غِلبي، ويأخذ السَّيِّد نوكس الكرسي الآخر**).

غِلبي: (**يقعد**) كنتُ أقول منذ قليلٍ يا سيِّد نوكس ماذا يحصل في العالم.

نوكس: (**يناشد زوجته**) ماذا كنتُ أقول هذا الصَّباح؟

السَّيِّدة نوكس: هذا زمنٌ عجيبٌ! ما كنتُ لأتحدث عن نهاية العالم لولا تلك الأشياء الغريبة الَّتي تحصل.

نوكس: زلازلٌ!

غِلبي: سان فرنسيسكو!

السَّيِّدة غِلبي: جامايكا!

نوكس: جزيرة المارتينيك!

غِلبي: مدينة مسينا!

السَّيِّدة غِلبي: الوباء في الصين!

السَّيِّدة نوكس: الفيضان في فرنسة!

غِلبي: ابني بوبي في وورموود سْكربس!

نوكس: مارغريت في هولواي!

غِلبي: والخادم الآن يخبرنا أنَّ شقيقه دوقٌ!

نوكس: لا!

السَّيِّدة نوكس: ما هذا الخبر!

غِلبي: أخبرني قبل أن تدخل بقليلٍ.. دوقٌ!! كان كلّ شيء يسير على خير ما يرام منذ بداية

الخليقة، كما يقولون، وإلى يومنا هذا، ومن ثمَّ ينقلب كلّ شيءٍ على عقبيه فجأةً!

السَّيِّدة نوكس: ما يحصل هنا مثل الَّذي يحصل في كتاب سِفر الرؤيا، لكنَّني أقول وأشدّد على قولي ما دامت السَّعادة لا تعمر قلوب البشر، فكلّ الزلازل، والفيضانات، والسّجون لا يمكن أنْ تجعلهم سعداء.

نوكس: ليست العجائب ما يحصل فقط، بل الطريقة الشَّاذة الَّتي يتعامل النَّاس بها، فمارغريت مثلاً كانت في السّجن ولا شيء يشغلها، أمَّا هنا فليس لديها الوقت الكافي لتلبية عزائم الأصدقاء لها.

غِلبي: لم أعرف من قبل أنَّه يمكننا العيش من دون احترام.

السَّيِّدة غِلبي: باللّه عليكَ يا روب! من قال ذلك؟

غِلبي: أنا لا أدعو دخول أولادكِ السّجن والخروج منه احتراماً.

نوكس: هيه يا غِلبي! إنَّ تعرُّضنا للحوادث الطارئة لا يعني أنَّنا أوغاد.

غِلبي: لا فائدة من ذلك يا نوكس.. انظر إليَّ! هل أخبرتكَ يوماً أنَّ والدي سكّير؟

نوكس: لا، لكنَّني أعرف، فسيمونز أخبرني.

غِلبي: أجل، فهو لا يستطيع أنْ يمسك لسانه، فقد أخبرني أنَّ عمَّتكَ مهووسةٌ بالسّرقة[1].

السَّيِّدة نوكس: ليس صحيحاً.. اعتادت أنْ تلتقط المناديل إنْ رأتها مصادفةً، ولكن يمكن أنْ تثق بها إنْ رأت الفضّة.

غِلبي: عمّي فِلْ كان ممتنعاً عن المسكرات امتناعاً تامّاً، فاعتاد والدي أنْ يقول لي "يقول عمّك إياكَ يا روب أنْ يكون لديكَ نقطة ضعف! فإنْ أمسك أحدهم عليكَ ممسكاً، فاستغلّ ذلك. عمُّكَ فِلْ يمقت المسكرات، فاستغلَّ ذلك، وأصبح رئيس لجنة بلو ريبون[2]. أمَّا أنا فأحبُّ المسكرات، فاستغللتُ ذلك، وأنا الآن

---

(1) Kleptomania هوس السرقة، أو جِنَّة الاختلاس، أو الدَّغر. (المترجم).

(2) blue ribbon. (المترجم).

زعيم كونفيفيال كوكاتوس[1]، وكان يقول «إيَّاكَ أنْ تضع نفسكَ موضع الزلاَّت»، واعتدتُ أنْ أفاخر النَّاس بخلال بوبي الطَّيبة، أمَّا الآن فأختالُ بحقارته ونذالته، وهذا ما يسعد النَّاس ويفرحهم.. يا له من عالم!!

نوكس: لمَّا سمعتُ مارغريت تخبر النَّاس أول مرّة عن هولواي جمد الدَّم في عروقي؛ غير أنَّ ذاك أهون من أنْ أسمعها تترنم به.

السَّيِّدة نوكس: لم أكن أعرف أنَّها تغني جيداً بعد كل تلك الدروس الَّتي دفعنا أجرتها.

غِلبي: يا لورد نوكس! من حظّنا أنَّ تورَّطنا معاً؛ فسأصارحكَ، فلو لم يكن العار سيلحق بوبي لفسخت الشَّركة الَّتي بيننا.

نوكس: لم أكن لألومكَ، ولكنتُ فعلتُ الشيء نفسه لولا مارغريت.. بالمناسبة، ماذا بخصوص ذلك الإعلان الَّذي يريد منّا شركة فانيس وجاكسون أنْ نضعه في نافذتنا؟ أخبرتهم إنّنا

---

(1) convivial cockatoos. (المترجم).

لـن نعلنـه لهـم في محلّنـا؛ بسـبب قلّـة احترامهـم معنـا.. كنـتُ فظًّـاً معهـم، ولكـن مـا الَّـذي سأقوله لهم لو رموا أعمالهم في وجوهنا لقلّة احترامنا بين النَّاس؟!

غِلبي: اعـرض الإعـلان الآن، يمكننـا أنْ نجـازف قليلاً.

السَّيِّدة غِلبي: جازفتَ بما يكفي يا روب. (**إلى السَّيِّدة نوكس**) يبقى في سريره صباح هذه الأيام، وكان اعتاد فيما مضى أنْ ينهض في السَّابعة صباحاً.

السَّيِّدة نوكس: أتسمع هذا يا جو؟ (**إلى السَّيِّدة غِلبي**) أدمنَ على شرب الويسكي والصّودا، ويشرب منها كمياتٍ كبيرةً في كلّ أسبوع، وما يزال يشرب الجّعة كما في السَّابق.

نوكس: لا تعظيني يا خانم!

السَّيِّدة نوكس: (**إلى السَّيِّدة غِلبي**) هذا اسمٌ جديدٌ لي.

((**إلى نوكس**) أقول لكَ يا جو إنَّ هذا لا يناسبكَ، ويمكنكَ أنْ تدعو ذلك وعظاً إنْ أردتَ، لكنَّها الحقيقة.. وإنْ كانت السَّعادة

تعمر قلبكَ فلن تبحث عنها خارجاً، بإنفاق المال على الشراب، والمسارح، والملاهي، ورفقة السّوء، ومن ثمَّ لا يبقي لكَ إلاَّ التَّعاسة. يمكنكَ أنْ تبقى في البيت وتكون سعيداً، ويمكنكَ أنْ تعمل وتكون سعيداً، فإنْ كانت السَّعادة في داخلكَ فستدفعكَ روحها إلى فعل ما تشاء وما هو صواب، ولكن إنْ افتقدتَها فأفضل ما يمكنكَ فعله هو أنْ تبقى محترماً، وتتمسكَ بما اعتدته، فلا شيء يبقيكَ مستقيماً سواه.

نوكس: **(بغضب)** ألا يمكن للرجل أنْ يحظى بقليلٍ من المتعة؟ انظري ماذا حصل لابنتكِ؟! كان يمكن لها أنْ ترضى بالسَّعادة الَّتي تتكلمين عنها دائماً، فإلى أين دفعتها روح السَّعادة؟ إلى السّجن شهراً؛ لأنَّها كانت مخمورةً واعتدت على شرطي.. هل اعتديتُ على شرطيّ في حياتي؟

السَّيِّدة نوكس: أنتَ لم تملك الشَّجاعة، أنا لا ألوم الفتاة.

السَّيِّدة غِلبي: ماريا! ماذا تقولين؟

غِلبي: ماذا؟ يا لكِ من مرائية!

السَّيِّدة نوكس: هي مضت حيث قادتها روح السَّعادة، وهي تجهل الأذى يحيطه.

غِلبي: باللّه عليكِ يا سيِّدة نوكس! ليست الفتيات بريئات كما تقولين.

السَّيِّدة نوكس: لم أقل إنَّها كانت جاهلة، بل قلت إنَّها كانت تجهل ما نعرفه، وأعني بذلك كيف تحيق بنا المغريات من كلّ جانبٍ فلا ينفع معها طيبةٌ ولا رزانةٌ ولا حنكةٌ. كانت في مأمنٍ من ذلك، ثمَّ اختبرت تجربةً قاسيةً، فلم تجد من يمنع عنها الأذى.. ولكن إياكما أيَّها الرجلان أنْ تظنَّا أنَّ أحداً سيحميكما إنْ اتخذتما ما فعلَته عذراً لتفعلا ما يحلو لكما، فلن ترشدكما الروح حينها، لأنَّكما تفتقدانها، ولم يعرف قلباكما شيئاً منها.

غِلبي: (**بسخريةٍ**) أنا على ثقةٍ بأنَّني مدينٌ لكِ بالنصيحة يا سيَّدة نوكس.

السَّيِّدة نوكس: حسناً، سأقول لكَ يا سيِّد غِلبي إنَّكَ

أفضل من رجلي جو هنا؛ فهو همجيٌّ صلفٌ عنيدٌ، أعانني الله عليه! (**تشرع بالبكاء**).

نوكس: لا تتصرفي هكذا يا أميليا، فأنتِ تعرفين أنَّني أقرُّ بأنَّكِ على حقٍّ دائماً بما يخصّ الدين، ولكن على أحدنا أنْ يفكّر بشؤون الحياة الأُخر، وإلاَّ تضوّرنا جوعاً.

السَّيِّدة نوكس: وما أدراكَ؟ فلربما جاءت تلك الأشياء عبئاً عليكَ.

غِلبي: لا تخبريني يا سيِّدتي أنَّ نوكس آثمٌ، فأنا أعرف جيداً أنَّكِ أول من يندم إنْ حصل مكروهٌ له.

نوكس: (**يحادث زوجته بمرارة**) أنتِ دائماً حاقدة عليَّ، ولا أحد يفهم السبب إلاَّ أنتِ.

السَّيِّدة نوكس: أردتُ رجلاً يحمل تلكَ السَّعادة في قلبه، وأنتَ خدعتني وجعلتني أظنُّ أنَّها فيكَ، لكنَّ ما في قلبكَ لم يكن سوى حبكَ لي.

السَّيِّدة غِلبي: وهل تلومينه على هذا؟

السَّيِّدة نوكس: لا ألوم أحداً.. ولكن إيَّاه أنْ يظنَّ أنَّه

مشى في دروب الحياة وحده؛ فأنا من يخبره دائماً أنَّه إنْ فَقَدَ احترام النَّاس له فسيسقط في الدَّرك الأسفل من النار، فهو لا يملك الثَّبات ولا القوة ليبقى على الصّراط المستقيم، فليعضّ إذن بنواجذه على ذلك الثّبات وتلك القوة الَّتي من عند غيره.

نوكس: (**يقف بغضب**) من الَّذي يريد أنْ يفقد احترام النَّاس له؟ كلّ هذا من أجل دنٍ من الويسكي دام أسبوعاً! كم ستدوم عندكَ الويسكي يا سيمونز يا ترى!؟

السَّيِّدة نوكس: (**بلطفٍ**) كفَّ يا جو! لن أغيظكَ من أجل ذلك بعد الآن.. (**يقعد**) لم تفهم قطّ، ولن تفهم أبداً.. لا أحد يفهمني، وحتَّى مارغريت لم تفهم إلى أنْ دخلت السّجن، أمَّا الآن فهي تفهمني، وسأحظى برفيقةٍ لي في منزلي بعد كلّ سنوات الوحدة تلك.

نوكس: (**يبدأ بالبكاء**) فعلتُ ما في وسعي لأسعدكِ، ولم أقل كلمةً تؤذيكِ..

غِلبي: (**يقف بأنفةٍ**) بأيّ حقٍ تعاملين رجلاً هكذا!؟ وهو الزوج المحترم الشَّريف؟ وكأنّه ممسحةٌ

تمسحين بها قدميكِ؟

نوكس: دعها وشأنها يا غِلبي. (**يقعد غِلبي رغماً عنه**).

السَّيِّدة نوكس: فعلتَ ما في وسعكَ من أجلي يا جو، ولكن ليس الذنب ذنبكَ إنْ كان ما فعلَته ليس ما أردتُ، وأنا أفضّلكَ كما كنتَ عليه، وليس كما أنتَ عليه الآن، ومنذ طفقتَ تشرب الويسكي والصّودا.

نوكس: لا أريد الويسكي ولا الصّودا! وإنْ أردتِ أخذتُ على نفسي عهداً أنْ أجتنبهما.

السَّيِّدة نوكس: لا؛ لأنَّكَ ستداوم على شرب الجعة لأنَّكَ تحبها، أمَّا الويسكي فللتباهي والتفاخر، وإنْ أردتَ يا سيِّد غِلبي أنْ نظلَّ أصدقاءً فلتستيقظ غداً في السَّابعة صباحاً.

غِلبي: لعنة اللّه عليَّ إنْ فعلت!! هل أعجبكِ هذا؟

السَّيِّدة نوكس: (**بنبرة إشفاقٍ عليه**) وكيف تعرف يا سيِّد غِلبي ما الَّذي ستفعله صباحاً؟

غِلبي: ولِمَ عليَّ أنْ أعرف؟ أنحن أطفالٌ فلا يسمح لنا بفعل ما نريد؟ وأولادنا يستمتعون ويمرحون حيث يشاؤون؟ (**إلى نوكس**) لستُ أنا من

يتدخَّل ما بين الرجل وزوجته يا نوكس، ولكن إنْ بدأت ماريا تتنمَّر عليَّ كما تفعل زوجتكَ فسوف...

السَّيِّدة غِلبي: كفاكَ يا روب! أنتَ تعرفُ جيداً أنَّه يجب ألاَّ تقارن نفسكَ بالدين..

غِلبي: ومن الَّذي يقارن نفسه بالدين؟

السَّيِّدة نوكس: لا يهمُّ إنْ كنتَ تقارن نفسكَ بالدين أمْ لا يا سيِّد غِلبي، فإنْ كان الدين هو من يقارَن بكَ فامضِ إذن على الطّائر الميمون! ولا تجادلني في هذا فأنا آثمةٌ مثلكَ.

غِلبي: حقّاً!!؟ ومن الَّذي أخبركِ أنّي آثمٌ؟

السَّيِّدة غِلبي: هيّاً يا روب! تعرف أنَّنا جميعاً آثمون خطّاؤون..

غِلبي: لم أقل شيئا ضدَّ الدين، وأنا أرى أنَّ الإثم في الفعال والأقوال، ولكنَّني لا أحب أنْ يرميني أحدٌ بالإثم وكأنَّني مذنبٌ أذنبت.

السَّيِّدة غِلبي: تتحدث السَّيِّدة نوكس لمصلحتكَ يا روب.

غِلبي: لا أحب أنْ يحدّثني أحدٌ لمصلحتي! أيحبُّ أحدٌ هذا!؟

السَّيِّدة نوكس: ليس في ذلك أيّ إساءةٍ لكَ يا سيِّد غِلبي، ولا فائدة من جدال أشخاصٍ من أمثالنا.

نوكس: من أمثالنا!؟ أتتهمينني بالتقصير!؟

السَّيِّدة نوكس: لا، يا جو، وأنتَ تعرف هذا، فنحن لسنا أفضل منكما، لكنَّني لاحظتُ أنَّنا جهلةٌ، لا نميّز بين الخطأ والصَّواب، ونحن بألف خيرٍ ما دامت الحياة تسير كعهدنا بها. ربيّنا أولادنا كما ربّانا أهلنا، وقصدنا الكنائس كما قصدها آباؤنا، ونقول كما يقول الجميع، فتمضي الأمور على أكمل وجه إلى أنْ يطرأ طارئٌ ما؛ كأن يقع شجارٌ عائليٌّ، أو يتصرّف أحد الأولاد تصرفاً خاطئاً، أو يدمن الأب على المسكرات، أو تُجنُّ عمّة، أو نكتشف أنَّنا نفعل أشياءً ما كنّا نفكر بفعلها أبداً.. ومن ثمَّ تعرفون ماذا يحصل تذمّرٌ وتشكٍّ، صراعٌ وجدال، وإهانات وشتائم وكأنَّ الشَّيطان تملّكنا جميعاً. ومن

ثمَّ نجد أنَّ مع كلّ عظمتنا ومجدنا فلا دين لنا، ولا قدرة لنا على معرفة الخطأ والصّواب. لا نملك غير عاداتنا وتقاليدنا، فإنْ انتقضت أو انتقصت فماذا يحلّ بنا؟ مثل بطرس في العاصفة وهو يحاول أنْ يمشي على الماء فيجد أنَّه لا يستطيع.

السَّيِّدة غِلبي: **(بورع)** إي واللّه! صدقتِ!

غِلبي: **(بكياسة)** لم أنكر يوماً أنَّكِ ذات علمٍ يا سيِّدة نوكس.

السَّيِّدة نوكس: باللّه عليكَ يا غِلبي! لا تتحدث عن علمي! قدّمي لنا بعض الشَّاي يا ماريا، فقد قلتُ ما عندي، وأعتذرُ منكم جميعاً عمَّا بَدَرَ مني!

السَّيِّدة غِلبي: دقّ الجرس يا روب! **(غِلبي يدقّ الجرس)** توقّف!! سيظنّ دجِغنز أنَّنا نطلبه..

غِلبي: **(باندهاش)** فات الأوان؛ دققتُ الجرس قبل أن أفكّر.

السَّيِّدة غِلبي: انزل، واعتذر منه يا روب!

نوكس: أهو من قلتُ أنَّ شقيقه...

(يدخل دجِغنز يحمل صينية الشاي. يقف الجميع. يأخذ الصينية إلى السَّيِّدة غِلبي).

غِلبي: لم أتقصَّد هذا يا سيِّد دجِغنز، فلم أكن أفكر حين دقّت الجرس.

السَّيِّدة غِلبي: **(تحاول أن تأخذ الصينية منه)**

دعني يا دجِغنز!

دجِغنز: رجاءً اجلسي يا سيَّدتي! دعيني أتمم واجباتي كالمعتاد، وثِقي بأنَّ هذا هو الصَّواب.
(يجلسون جميعاً، وهو يضع الصينية على الطاولة، ومن ثمَّ يخرج).

نوكس: **(بنبرةٍ منخفضةٍ)** أهذا أمرٌ حسنٌ يا غِلبي؟ قد يكون زيداً من الناس ابناً لدوق، فهل هو ابن شرعي؟

غِلبي: يا الله! لم أحتسب هذا!

(يرجع دجِغنز يحمل الكعك، فينظرون إليه بعين الريبة).

غِلبي: **(هامساً إلى نوكس)** اسأله أنت!

نوكس: **(إلى دجِغنز)** اسمع لي بكلمة يا رجل! أتزوجَتْ أمكَ من أبيكَ؟

دجِفنز: أعتقد ذلك يا سيدي، فلا يمكنني قول هذا من معرفةٍ شخصيّةٍ؛ لأنَّ ذاك كان قبل أن أولد.

غِلبي: حسناً، ولكن اسمعني...(**يتردد**).

دجِفنز: ماذا يا سيِّدي؟

نوكس: دع الأمر لي يا غِلبي؛ فأنا أعرف كيف أحسم الموضوع. (**إلى دجِفنز**) أكانت والدتكَ الدوقة؟

دجِفنز: أجل يا سيدي، صحيح، ثق بذلك. (**إلى السيدة غِلبي**) تفضَّلي الحليب يا سيِّدتي! (**تأخذ الوعاء الخطأ**) هذا الماء.

(**يرنون إليه على أنَّه جدير بالشفقة**).

السَّيِّدة نوكس: ماذا قلتُ لكم ؟ هذا أمرٌ طارئٌ غير ما اعتاده الخادم، ولا نعرف كيف نتصرَّف.

دجِفنز: الأمر سهلٌ هينٌ جداً يا سيِّدتي؛ فأنا خادم ويجب أن تعاملوني على هذا الأساس. (**يتابع عمله بهدوء، ويقدّم لهم أكواباً تملؤها السَّيِّدة نوكس بالشاي**).

(**يسمعون قهقهة من تحت الدرج**).

السَّيِّدة غِلبي: ما هذا الصوت؟ هل المعلّم بوبي في البيت؟ أسمع ضحكته.

السَّيِّدة نوكس: أنا على يقين بأني سمعتُ ضحكة مارغريت.

غِلبي: لا، بل ضحكة المرأة .

دجِفنز: يمكن أن أشرح لك يا سيدي، وأطلب منك أن تعذرني على حريتي؛ لكنني أقيم حفلةً ترفيهيةً صغيرةً في حجرتي.

السَّيِّدة غِلبي: أترفّه عن المعلم بوبي!؟

دجِفنز: نعم، يا سيدتي.

غِلبي: ومن معه؟

دجِفنز: الآنسة نوكس يا سيدي.

غِلبي: الآنسة نوكس! هل أنت على يقين؟ أهناك أحد آخر؟

دجِفنز: ضابط بحريةٍ فرنسيةٍ يا سيدي، و.. الآنسة دِلاني. (**يضع كوب غِلبي قبالته**) الآنسة الَّتي طلبت المعلم بوبي.

نوكس: أتقصد إنهم يحتفلون في الأسفل، ونحن نحتفل هنا في الأعلى ولا نعرف شيئاً عن ذلك؟

دجِغنز: أجل يا سيدي، عليَّ أن أرفّه عن المعلم بوبي جيداً في حجرتي يا سيدي.

غِلبي: جميلٌ حقاً!!

نوكس: ما معنى هذا؟ لماذا يحتفلون؟

دجِغنز: ليمّتعوا أنفسهم يا سيدي.

السَّيِّدة غِلبي: ليمتعوا أنفسهم! أسمع أحدكم بهذا من قبل؟

غِلبي: ابنة نوكس في حجرتي!!

نوكس: تخالط مارغريت فرنسياً وخادماً..(**ينتبه فجأةً إلى أن الخادم يقدم له كعكة**) هي لا تعرف شيئاً عن... نسبه الكريم.

السَّيِّدة غِلبي: لعلّها تعرف؟ أتعرف يا سيِّد دجِغنز؟

دجِغنز: الامرأة الأخرى تشك بأمري يا سيِّدتي. يدعونني ردولف، أو الوريث الأخير الضائع.

السَّيِّدة غِلبي: هذا اسمٌ أجمل من دجِغنز، وأظنُّ أنَّني سأناديكَ به، إنْ لم تمانع.

دجِغنز: على الإطلاق يا سيِّدتي.

(**تسمع أصوات ضحكٍ وقهقهةٍ من الأسفل**).

غِلبي: اذهب وأخبرهم أنْ يتوقَّفوا عن الضّحك! فبأيّ حقٍ يصدرون أصواتاً كهذه؟

دجِغنز: طلبتُ منهم ألاَّ يضحكوا بصوتٍ عالٍ، لكنَّ الفرنسيَّ يدفعهم إلى الضَّحك دوماً.

نوكس: أتعني أنَّ ابنتي تضحك على مزاح الفرنسيّ؟!

غِلبي: جميعنا يعرف ما هو المزاح الفرنسيّ!!

دجِغنز: صدّقاني! أنتما لا تعرفان! كلّ هذه الضّجة لأنَّ الفرنسيّ قال إنَّ القطَّة تعاني من السُّعال الديكيّ.

السَّيِّدة غِلبي: (**تضحك من كلّ قلبها**) حسناً!!

غِلبي: كفّي عن الحماقة يا ماريا! انظر إليَّ يا نوكس! لا يمكننا أنْ نسمح لهذا بأنْ يستمر؛ فلا يُسمح للناس أنْ يتصرَّفوا هكذا.

نوكس: وهذا رأيي أيضاً.

(**يسمعون ألحان الكونسرتينة مع ضحكاتهم**).

السَّيِّدة غِلبي: (**باستمتاع**) اشتراها لها!

غِلبي: من بين كلّ الفضائح... (**ضحكاتٍ رنَّانةٍ من الأسفل**).

نوكس: سأضع حدًّا لهذا.. (يخرج، وينزل، ويسمعون صراخه) مارغريت!! (**صمتٌ بهيمٌ فجأةً**). أقول مارغريت!!

صوت مارغريت: نعم يا أبي! أنصعد جميعاً!؟ نحن نتوق لذلك.

نوكس: اصعدوا واخجلوا من أنفسكم.. تتصرَّفون مثل هنودٍ متوحشين..

صوت دورا: (**تصرخ**) أوه! أوه! إيَّاكَ يا بوبي! الآن، أوه! (**تدخل إلى الغرفة بسرعةٍ كبيرةٍ منقطعة الأنفاس، فتندهش قليلاً لوجود الشّركاء جميعاً**) عذراً منكِ يا سيِّدة غِلبي لأنَّني دخلتُ هكذا! لكنَّني كلَّما صعدتُ الدَّرج أمام بوبي يتظاهر بأنَّه قطَّة تريد أنْ تعضَّ كاحلي، فأصرخ.

(**يدخل بوبي ومارغريت خجلين ولكن بمعنوياتٍ عاليةٍ. يقعد بوبي بجانب والده**).

مارغريت: كيف حالكِ يا سيِّدة غِلبي!؟ (**تقعد خلف والدتها**).

(**يدخل دوڤاليه بأناقةٍ وجمالٍ يتبعه نوكس**).

مارغريت: دعوني أقدِّمَ لكم صديقي الملازم دوڤاليه.. السَّيِّدة غِلبي.. السَّيِّد غِلبي. (**ينحني دوڤاليه ثمَّ يقعد إلى يسار السَّيِّد نوكس على كرسيٍّ وضعه له دجِنز**).

دورا: والآن يا بوبي.. عرّفنا إلى هذه يا عزيزي.

بوبي: (**بشيءٍ من الاضطراب**) الآنسة دِلاني.. أقدّم إليكِ السَّيِّد نوكس وزوجته. (**يحيّيها نوكس وهو راجعٌ إلى مقعده بشيءٍ من الريبة، أمَّا السَّيِّدة نوكس فتنحني لها بشجاعةٍ، وهي تحدّق إلى دورا الَّتي تتقدها**).

دورا: سعيدةٌ لرؤيتكِ! (**يضع دجِنز كرسيّاً لتقعد عليه إلى يسار غِلبي ومقابلاً للسَّيِّدة نوكس**). أعطاني بوبي النَّفاخة.. (**تخاطب الثَّلَّة في العموم**) أتعرفون ماذا فعلوا في الأسفل؟ (**تبتهج ابتهاجاً عظيماً**) لن تحزروا أبداً.. حاولوا أنْ يعلّموني آداب المائدة، ويقول الملازم رودلف إنَّني مستهترةٌ فاجرةٌ. كنتُ على يقينٍ من أنَّه لا عيب فيَّ، ولكن من يعش يتعلَّم (**إلى غِلبي**) أليس كذلكَ يا صاحبي!؟

دجِنز: كلمة (**يا صاحبي**) ليست صحيحةً مناسبةً يا آنسة دِلاني. (**يتراجع إلى قرب الباب**).

دورا: باللّه عليكَ! يجب أنْ أناديه باسمٍ ما، وهو لا يمانع، أليس كذلك يا شارلي؟

السَّيِّدة غِلبي: اسمه ليس شارلي!!

دورا: عذراً منكِ! فأنا أدعو الجميع باسم شارلي.

دجِغنز: يجب ألاَّ تفعلي ذلك.

دورا: عليَّ أنْ أصمت ولا أفتح فمي بكلمة! لا تهتمي لأمري يا سيِّدة غِلبي.

نوكس: أريد أنْ أعرف إلى أين سينتهي هذا؟ ليس من شأني يا غِلبي أنْ أتدخَّل بينكَ وبين ابنكَ، فلا ريب أنَّه يعرف نواياه الخَّاصة أفضل من أيّ شخصٍ آخر، وربما باح لكَ بها، ولكن عليَّ أنْ أهتمَّ بابنتي، ومن واجبي وأنا والدها أنْ أفهمها فهماً تامَّاً، ولا خير لنا في أنْ ندور الموضوع.. أنا أسأل الملازم.. حسناً، أنا لا أتكلَّم الفرنسيّة، ولا أعرف لفظ الاسم الصّحيح.

مارغريت: السَّيِّد دوڤاليه يا والدي.

نوكس: أنا أسأل السَّيِّد دوڤاليه عن نواياهُ.

مارغريت: آه منكَ يا والدي! كيف تسأله مثل هذا السّؤال؟

دوڤاليه: أخشى أنَّ معرفتي بالإنكليزيّة ليست كافيةً لفهم كلمة (**نوايا**)!.. ماذا تقصد بها؟

مارغريت: يريد أنْ يعرف إنْ كنتَ تريد الزواج بي.

السَّيِّدة غِلبي: يا للوقاحة!

نوكس: صمتاً!

دورا: حسناً هذا سؤالٌ صريحٌ، أليس كذلك؟

دوڤاليه: لكنَّني متزوجٌ، وعندي ابنتان.

نوكس: (**يقف بكرامةٍ**) تقول لي وأنتَ جالسٌ وبعد ما غازلتَ ابنتي إنَّكَ متزوّج!

مارغريت: يجب ألاَّ تقول يا أبي مثل هذا! (**يقعد ثانيةً بهدوء**).

دوڤاليه: عذراً! غازلت!؟ وماذا يعني هذا؟

مارغريت: يعني...

نوكس: (**بعنفٍ**) أمسكي عليكِ لسانكِ يا وقحة!! إيَّاكِ أنْ تقولي له ماذا يعني!!

دوڤاليه: (**يهزّ كتفيه**) ماذا يعني يا رَدلف؟

السَّيِّدة نوكس: إنْ لم يكن مناسباً لفتاةٍ أنْ تفسّر

معنى الكلام، فذلك ممنوعٌ على الرِّجال أيضاً.. سيِّد دوڤاليه، أنتَ رجلٌ متزوجٌ وعندكَ ابنتان، فهل تسمح لهما بالتسكع مع غريبٍ، كما تفعل أنتَ، ومن دون أنْ تعرف إنْ كان قصده شريفاً؟

دوڤاليه: سيِّدتي.. ابنتاي فتاتان فرنسيّتان، وهذا مختلفٌ؛ فليس من اللائق لفتاةٍ فرنسيّةٍ أنْ تتسكع وحدها وتحادث الرِّجال كما تفعل الفتيات الإنكليزيّات والأمريكيّات، لهذا أنا معجبٌ بالشَّعب الإنكليزيّ؛ فأنتم متحرّرون جدّاً، وصريحون جدّاً، نساؤكم يتّسمن بالشَّجاعة والصّراحة، وعقولهنّ...، ماذا أقول؟ متفتحة جدّاً. أريد من ابنتيَّ أنْ تتعلّما في إنكلترة.. إنكلترة هي البلد الوحيد في العالم الَّذي أستطيع فيه أنْ أقابل فتاة فاتنة ذات عفافٍ واحترامٍ في مسرحٍ، ومن ثمَّ أستمتع بمراقصتها في قاعة الرقص. إنكلترة هي البلد الوحيد الَّتي تعلَّمتْ فيه النساء أنْ يلكمن ويرفسن ويكسرن أسنان شرطيٍّ في احتجاجٍ على الظلم والعنف. (**يقف بحماسةٍ كبيرةٍ**) ابنتكِ يا سيِّدتي كاملةٌ مكمَّلةٌ،

وبلدكِ مثالٌ لكل بلدان أورُبة. إنْ كنتِ فرنسيّةً ترائين وتنافقين وتتعرّضين لاستبداد العائلة والبيت عندها ستفهمين كيف يعجب أصحاب العقول النَّيرة منَّا بحريتكم، وبسعة آفاقكم، وبحقيقة أنَّ الحياة الأسريّة في إنكلترة معدومة، فيحسدونكم على ذلك.. وضعتم نهايةً لاستبداد العائلة، وقوَّضتم المجلس الأبويّ.. جميعكم تستمتعون بحرية النَّظر إلى شجارٍ بين الأخوة، وإلى ابنٍ يتحدَّى أباه، أو ابنةٍ ترفض الحديث مع أمّها. أمَّا في فرنسة فنحن لسنا رجالاً، بل أبناءً فقط، أو قُل أطفالاً كباراً. المرء هنا كائنٌ بشريٌّ.. آهٍ يا سيِّدتي! لو أنَّ عبقريتكِ العسكريّة تساوي عبقريتكِ الخُلقيّة!.. لو أنَّ ذاك الفتح الفرنسيّ لأورُبة، والَّذي كان بدايةً لعصرٍ جديدٍ بعد الثورة الصّناعيّة، كان فتحاً إنكليزيّاً فتخيّلوا الانفتاح والتنوير الَّذي كان سيحلّ في العالم!! نحن للأسف لا نستطيع سوى القتال. فرنسة بلدٌ مغلقٌ على نفسه، وأحكم إغلاق نفسه إحكاماً. نحن نفرض أفكارنا المحدودة، وتحيّزنا، ومؤسساتنا الاستبدادية على العالم بالقوة المفرطة، والوحشية

الزائدة، وبالسلاح، وبالبطولات الزائفة الَّتي تُظهر للعالم أننا ننحدر من برابرة.. لا، بل من بهائم نتعامل وبعضنا كثيران، ونتشاجر كديكة مقاتلة إنْ غلُبنا بالعقل والمنطق، ونحن فوق ذلك من الحماقة نتفاخر بذلك. ولِمَ نتفاخر؟ أيمكن للثور أن يتطوّر ويرقى؟ أيمكنكَ تمدين الديكة المقاتلة ؟حتَّى أننا لا نستطيع أن نقاتل بذكاء حين نخسر المعركة؛ لأننا بلا عقول فنعرف أننا هُزمنا. فلمَّا هُزمنا في معركة واترلو أَعَرَفنا أنَّ علينا أن ننسحب ونفكّر في خطّةٍ أخرى فنربح المعركة؟ لا، إذ أنَّنا أصحاب رؤوسٍ عنيدةٍ مقتنعين بأنَّ لا شيء مستحيل في وجه الفرنسيّ، وفرحنا فرحاً عظيماً عندما مات ستة من الأحصنة تحت أقدام ضباطنا، ثمَّ قُتل أولئك الضباط الحمقى عوضاً عن الاستسلام كما يفعل العقلاء. فكّروا بعظيمكم ولنغتون[1] وبكلماته الرنَّانة، حين سألته امرأةٌ فيما إذا كان الجندي البريطانّي

---

(1) Wellington. (المترجم).

يفرُّ من المعركة، قال «كلّ الجنود يهربون يا سيدتي، إنْ لم يجدوا من يؤازرهم»، فكّروا بملهمكم نيلسون[1] المهزوم دائماً على الأرض، والغالب دائماً في البحر حيث لا يستطيع رجاله الفرار. أنتم أناسٌ لا تغرّهم المُثل العليا الزائفة للحماسة الوطنية ولا يستهويكم ذلك، فخطباؤكم الشرفاء العقلاء يطالبون لبلدهم بمعيار الثنائية في القتال، بل بمعيار الثلاثة، فيقرّون بصراحة أنَّ الأفضل لهم أنْ يقاتلوا ثلاثة ضد واحد، في حين نحن الحمقى المدّعون نصرّح بأنَّ كل فرنسي هو بجيشٍ من الرِّجال، وإن هاجم فرنسي ثلاثة رجال إنكليزيين يتهمون بالجبن، ويقارنون برجل يضرب امرأة، هذه حماقةٌ.. هذا هذرٌ؛ فالفرنسي ليس أقوى من جرمانيّ، ولا من إيطالي، ولا حتىّ من إنكليزي. سيدي! لو أنَّ جميع نساء فرنسة مثل ابنتكِ، ولو أنَّ جميع رجال فرنسة لديهم حصافة الإنكليز، ونفاذ بصيرتهم، وحسن

---

[1] Nelson. (المترجم).

تصرفهم، ومتانة شجاعتهم لأصبحت فرنسة أعظم أمّة في العالم.

مارغريت: لتحيَ إنكلترا!! **(تصافحه بحرارة)**.

بوبي: عاش! لنقل جمعياً عاش!

(دوفاليه يرد على مارغريت مصافحتها بحرارةٍ أشد، ثمَّ يقبّل دجفنز على خدّيه، ومن ثمَّ يقعد على كرسيه وهو يمسح حاجبيه المتعرّقين).

غِلبي: هذا الضرب من ضروب الكلام يفوقني، أتفهم شيئاً منه يا نوكس؟

نوكس: يبدو لي أنَّ مغزى كلامه أنَّه لا يستطيع الزواج بابنتي شرعياً، بعد أن دخل السَّجن معها.

دورا: أنا على استعداد للزواج ببوبي إن كان هذا يرضيك.

غِلبي: لا، لن تفعلي.

السَّيِّدة نوكس: عليه ذلك يا سيد غِلبي.

غِلبي: إن كان هذا دينكِ يا أميليا نوكس فلا أريد شيئاً منه بعد الآن. هل تعزمينها إلى بيتكِ إن تزوجا؟:

السَّيِّدة نوكس: عليه أنْ يتزوج بها ، شئتَ أم أبيت.

بوبي: أشعر يا سيدة نوكس أنه عليّ أن أتزوجها.

غِلبي: صُنْ لسانك! واهتم بما يعنيك!

بوبي: (**بغضب شديد**) إن لم تسمح لي بالزواج بها فسأفعل ما هو مشين؛ سألتحق بالجيش.

دجِفنز: هذا ليس مشيناً يا سيدي.

بوبي: ربما ليس لك، لأنك خادم، أمَّا أنا فسيدٌ محترمٌ.

السَّيِّدة غِلبي: إياك أن تكلّم السيد رَدلف بقلة احترام يا بوبي! العيب عليك!

دجِفنز: (**يتقدم من وسط الطاولة**) ليس من الاحترام ولا السّيادة أن تعدّ خدمتك لبلدك شيناً لك وإهانة، بل الاحترام أن تتزوج بالمرأة الَّتي جامعتها من قبل.

غِلبي: (**باندهاشٍ**) سيتزوج ابني بهذه المرأة ويصبح منبوذاً اجتماعياً!!

دجِفنز: سيحكم المجتمع الَّذي يحترم نفسه على ابنك والآنسة ديلاني بأن يمضيا بقية حياتهما

برفقة شركاء مشابهين لشركاء يألفونهما في البيت.

نوكس: وابنتي!؟ من سيتزوجها؟

دجِغنز: ابنتكَ يا سيدي ستتزوج الرجل الَّذي تختاره؛ فهي سيدة ذات عزمٍ وطيدٍ.

نوكس: هذا إن وجدت رجلاً يقبل بعزمها.. أنت شقيق دوق، أتقبل...

بوبي: ماذا تقول؟

مارغريت: دجِغنز دوقٌ؟!

دوفاليه: ماذا!!

دورا: ماذا قلت لكَ؟

نوكس: أجل، شقيقه دوقٌ، هذا ما هو عليه.. (**إلى دجِغنز**) إذن، أتتزوجها؟

دجِغنز: كنتُ على وشك أن أقترح هذا حلاً لمشكلاتك يا سيِّد نوكس.

السَّيِّدة غِلبي: يا الله!

نوكس: أتعني هذا؟

السَّيِّدة نوكس: يتزوج مارغريت!

دجِفنز: (**يتابع كلامه**) لمَّا كنت أصغر أخوتي، ولا أستطيع أن أعيل نفسي، ولا أستطيع أن أقارن ما أملك من مالٍ بالأغنياء الأمريكيين، فلا أستطيع أن أطمح بيد الآنسة نوكس، ولكن وأنا خادمٌ امينٌ مكافحٌ شريفٌ، نال رضى ربّ عمله (**ينحني إلى كيلبي**) فأنا أشعر بأني رجلٌ فيه خصالٌ حميدةٌ، والأمر عائدٌ للآنسة نوكس.

مارغريت: دخلتُ في شجار ذات مرة لإعجاب بك يا رَدلف.

دجِفنز: لو تظاهرتُ يا آنستي بأنني غير معجب بكِ لدخلتُ في شجار مع نفسي؛ إذ كنتُ أتطلّع لتلك الغدوات الأسبوعية.

السَّيِّدة نوكس: ولكن لِمَ سيد مثلكَ ينحطّ ليعمل خادماً؟

دورا: انحطَّ ليغزُ، فينتصر.

مارغريت اخرسي يا دورا! أريد أن أسمع!

دجِفنز: سأشرح لكِ، ولكنَّ السَّيِّدة نوكس هي من سيفهمني. أهنتُ خادماً ذات مرة لأنَّه كان

مسيحياً متمسكاً بدينه. كان وبَّخني لأنني عبثتُ مع فتاة من طبقته الاجتماعية، فأخبرته أن يتذكر من هو، ومع من يتكلَّم، فقال "إن اللّٰه لن ينساك"، فصرفته من عمله من فوري.

غِلبي: تصرفٌ لائقٌ جداً.

نوكس: بأي حق يذكر ذلك لك؟

السَّيِّدة غِلبي: ما أوقح الخدم!

السَّيِّدة نوكس: أحقاً!؟ وماذا قال؟

دجِفنز: دنَّستُ نفسي وشِنتها، واحتمل ذلك في صدري شهوراً، ثمَّ أسلمتُ نفسي لرئيس خدمٍ هرمٍ كان يعمل عندنا ويملك نُزلاً، فعلَّمني الخدمة، وأمَّن لي عملاً مع السَّيِّد غِلبي. لو قابلتُ ذاك الرجل ثانيةً لاستطعتُ الآن أن أواجهه!

السَّيِّدة نوكس: خذي بنصيحتي وتزوجيه يا مارغريت؛ ليس لأنه دوقٌ، بل لأنه ليس مثلهم؛ فهم كالطبول الفارغة.

مارغريت: **(تتأبط ذراعه)** أحببتُ دجِفنز منذ اليوم الأول الَّذي عجمته عيني، وشعرتُ بأنّه ثري..

أيمكننا أن نترافق خارجاً يا سيِّد غِلبي؟

نوكس: لا تتواقحي يا فتاة! تذكري مكانتكِ الجديدة! (**إلى دجِفنز**) أظنُّ أنك جادّ بهذا يا سيِّد.. سيِّد رَدولف؟

دجِفنز: من بعد إذنك، أقترح أن أحافظ على رفيقتي هذه المساء، إن كانت السَّيِّدة غِلبي يمكنها الاستغناء عن خدماتي.

غِلبي: (**ينظر إلى بوبي نظرة حسد**) سيمضي وقت طويل قبل أن تتزوج أخت دوق أيها الشاب الَّذي لا ينفع لشيء.

دورا: لا تغتظ يا صاحبي. سيعلمني رَدولف سلوك الطبقة العالية. أدعو هذا نهايةً سعيدةً، أليس كذلك أيها الملازم؟

دوفاليه: هذا أمر مستحيل في فرنسة، ولكن هنا.. آه! (**يقبّل يدها**) يا لإنكلترة الفاتنة!!

* * *

خاتمة المسرحيَّة

(يهرع الكونت قبل أنْ تسدل الستارة إلى النقّاد الأربعة حالما يقفون، وهم ضجرون متعبون).

الكونت: أيُّها السَّادة! لا تكلّموني! وأطلب منكم أن تكتموا آراءكم، فليس عندي القوة على تحملّها. لم أصدّق ما أراه؟ أهذه مسرحية؟ أهذا فنٌّ؟ أهي مقبولة عندنا؟ أتفيد البشرية بأي طريقة كانت؟ أيوجد مثل أولئك الناس؟ اعذروني أيها السادة.. فأنا أتكلم من قلبٍ كليمٍ، فهناك أسبابٌ شخصيةٌ لسخطي هذا في هذه المسرحيَّة جحدٌ، وظلمٌ، ونكرانٌ لنا نحن الآباء.

تروتر: صه! أنتَ تأخذ المسرحيَّة على محمل الجدّ. على كل حال، في تلك المسرحيَّة مجازات ممتعة، أمّا ما بقي منها فلا تمتُّ للموضوع بصلة.

الكونت: سيد تروتر.. من السَّهل عليكَ أنْ تدّعي

اللامبـالاة. (**ينـدهش تروتـر ويكـرِّر المقـاطع الثلاثـة الأولى في حنجرتـه**[1]**، مصـدراً صـوتاً كصوت التَّدرج**[2]) تشاهد مئات المسرحيِّات في كلّ سنة، ولكن بالنسبة إليَّ، وأنا لم أشاهد مثل هذا من قبل، فإنَّ تأثيرها في النّفس مقرفٌ جـدّاً. يـا سـيِّدي لـو لم تكـن المسـرحيَّة كمـا يسمّيها النَّاس مسرحيةً أخلاقيّةً لما راعني الأمر قطّ. (ينصدم ڤـون) يجمِّل الحب كلّ علاقة، ويسوّغ كلّ وقاحة، (يوافق بانَل) ولكن هناك تحفّظاتٍ على الجميع أنْ يحترمها.. هناكٌ آدابٌ وأصـولٌ لا يمكـن ترجمتهـا بكلمـات، ومـن دونها يصبح المجتمع البشريّ لا يُطاق. لا يمكن للبشـر أنْ يتحـادثوا كمـا فعـل أولئـك، ولا يمكـن لمخلـوقٍ بشـريٍّ أنْ يهتـك الأعـراض.. (يناشـد ڤـون الَّـذي إلى يسـاره، وغَـنْ بينهمـا) أليس كذلك يا سيِّدي!؟

---

(1) الكلمـة الَّـتي قالهـا الكونـت في الأصـل هـي: pococurantist، وتعني: لا مبالٍ، لذا نرى تروتر يحاول أنْ يكرر لفظها لصعوبتها على اللسان. (المترجم).

(2) طائرٌ ذيَّالٌ يشبه الحجلة. (المترجم).

ڤون: حسناً، أنا لا أرى ذلك.

الكونت: أنتَ لا ترى ذلك! ألا تشعر بذلك!؟ (إلى غَنْ) أناشدكَ يا سيِّدي!

غَن: (باهتمامٍ شديدٍ) يبدو الأمر لي ضرباً من ضروب اللّهو والعبث.

الكونت: (يدور باتجاه تروتر الَّذي إلى يمينه، بينه وبين بائل) سيِّد تروتر.. أيمكن أنْ تخبرني أنَّكَ لستَ دهشاً، أو غاضباً، أو مجروحاً في أعماقكَ من كلّ كلمةٍ في هذه المسرحيَّة، ومن كلّ نبرةٍ، وكلّ لمحةٍ وإشارةٍ، وأنَّكَ لم تكن جالساً هناك تفكّر في الَّذي يمكن أنْ يحصل!؟

تروتر: على الإطلاق.. فكلّ فتاةٍ ذكيةٍ يمكن أنْ تتصرَّف هكذا.

الكونت: إذاً يا سيِّدي سأنطلق غداً برحلةٍ إلى البندقية، ولن أعود أبداً. يجب أنْ أصدِّق ما تقوله لي، فقد لاحظتُ أنَّكَ لست منزعجاً، ولا مندهشاً، ولا مهتماً، وأنَّ خوفي.. أجل أيّها السَّادة! خوفي، خوفي الشَّديد، يبدو لا يهمّكم ولا يعنيكم، حتَّى بالنسبة إليكَ يا سيِّد تروتر، وأنتَ أصغر مني بقليلٍ.. سيِّدي! لو تحدَّث النَّاس إليَّ بمثل ذاك الحديث لمتُّ من خجلي، فأنا لا أطيق

صبراً عليه. عليَّ أنْ أعود، فالعالم الَّذي أعيش فيه استحال غير العالم.. اقبلوا عذر معجبٍ عجوزٍ، وبلا ريبٍ أحمقَ، بفنِّ الأيام الخوالي، حين ساد الجَّمال العالم، والاحترام الأسرة. غير أنَّي وعدتُ ابنتي أنْ أخبرها برأيكم، وعليَّ أنْ أفي بوعدي. أيّها السَّادة!! أنتم عباقرة هذا الزمن وأسياده، تمضون فيه من دون دهشةٍ وامتعاضٍ لما يجري. سيِّد بائل! أنتَ تعرف أنَّ من سنن المحكمة العسكريّة أنْ يقدِّم الضَّابط الأصغر تقريره أولاً، حتَّى لا يتأثَّر بسلطة الأسنّ منه، وأنتَ أصغرهم، فما رأيكَ بالمسرحيَّة؟

بائل: لمن المسرحيَّة؟

الكونت: هذا سرٌّ حالياً.

بائل: لا تتوقع منّي أنْ أعرف ماذا أقول في مسرحيةٍ وأنا لا أعرف مؤلِّفها!

الكونت: ولِمَ لا؟

بائل: لِمَ لا! لِمَ لا! افترض أنَّكَ تريد أنْ تكتب عن مسرحيةٍ كتبها بنيرو، وأخرى جونز، فهل تكتب عنهما الشَّيْ نفسه؟

الكونت: لا!

بائل: فكيف يمكنَ الكتابة عنهما إنْ لم تعرف أيّ مسرحية كتبها بنيرو، وأي مسرحية كتبها جونز؟ ثمَّ من أيِّ صنفٍ من أصناف المسرحيِّات تلك؟ هذا ما أريد أنْ أعرفه.. أهي مسرحيّةٌ كوميديّةٍ أمْ تراجيديةٌ؟ أهي فارس[1] أمْ ميلودراما؟ أهي مسرحيةٌ عابثةٌ أمْ جدّيةٌ؟

غَن: ألا تستطيع معرفة صنفها من مشاهدتها؟

بائل: من غير ريبٍ! وبوضوحٍ تامٍّ، لكنَّني لا أعرف كيف أنقدها، فإنْ كان المؤلِّف يعرف ما هي فليخبرنا، فإنْ لم يعرف فلا يتذمَر إنْ كنتُ لا أعرف، فأنا لستُ المؤلِّف.

الكونت: ولكن أهي مسرحيّةٌ جيدةٌ يا سيِّد بائل؟ هذا سؤالٌ سهلٌ هيّنٌ.

بائل: سهلٌ هيِّنٌ حين نعرف المؤلّف. إنْ كان مؤلّفها مجيداً، فهي جيدةٌ بطبيعة الحال.. فمن هو المؤلِّف؟ أخبرني بهذا، وسأفصّل لكَ المسرحيَّة تفصيلاً.

---

(1) - Farce. (المترجم).

الكونت: العذر منكَ!! فلستُ مخوَّلاً لذكر اسم المؤلّف، والمؤلّف يرغب أنْ تحكموا على المسرحيَّة لميزاتها فحسب.

بائل: وأيُّ ميزاتٍ يمكن أنْ تحمل سوى ميزات المؤلّف؟ من تقول أنَّه المؤلّف يا غَنْ؟

غَن: ومن تظنّ؟ ما شاهدناه ميلودراما قديمة منزلية، مثَّل فيها ممثلون أغرار. البطل فيها ملازمٌ في البحرية، وكلّ أبطال مسرحيّات الميلودراما ضبَّاطٌ في البحريّة. البطلة تخرق القانون فتتورط بالمشاكل، فإنْ لم تخرق القانون فليس هناك أيّ مسرحية، وهي تنشد تعاطف من حولها طوال الوقت، وتنقلب والدتها الورعة على والدها القاسي حين يهمُّ على طردها، ومن ثمَّ هناك الخلاص المضحك يمثّله حانوتيٌّ هزليٌّ، أو زوجة حانوتيٍّ هزليٍّ، أو خادمٌ هزليٌّ يظهر في النهاية أنَّه دوقٌ متخفٍ، ثمَّ هناك الوغد الشَّاب الَّذي يغري الفتاة، وكلّ ذلك قديمٌ مبتذلٌ أكل الدَّهر عليه وشرب.

الكونت: ولكن...

غَن: (يقاطعه) أعرف ما الَّذي ستقوله أيّها الكونت؛ ستقول إنَّ المسرحيَّة بأكملها تبدو لكَ جديدةً

ومبتكـرةً وغـير عاديّـةٍ. المـلازم البحـريّ رجـلٌ فرنســيٌّ يعظّــم الإنكليــز ويقلّــل مــن شــأن الفرنسـيّين إنّهـا لمسـةٌ مـن لمسـات شـو القديمـة المبتذلــة[1]. الشّــخوص مــن طبقــةٍ اجتماعيّــةٍ متوسـطةٍ، بـدلاً مـن أنْ يكونـوا أغنيـاء ومـن الطَّبقـة المخمليّـة. أمَّـا البطلـة فتتعـرض لاحتقـار النَّـاس والـذّل.. لا حبكـة في المسـرحيَّة. وفيهـا إشـارةٌ واهنـةٌ لطمـوحٍ عقلـيٍّ تقنعـكَ بـأنَّ المؤلّـف ذكـيٌّ ألمعـيٌّ، لم يكتـب مسـرحيةً جيـدةً كـيلا يـنحطَّ إلى مـا هــو سـوقيٌّ عــاميٌّ. ورجالــكَ المحنَّكــون الثَّلاثــة ظلّــوا قاعـدين طيلــة هــذا العــرض، ومــن ثــمَّ لا تســتطيع أنْ تخبرنــا مــن كتبها!! المسرحيَّة تحمل في ثناياها توقيع المؤلِّف.

بائل: من؟

غَن: غرانفيل باركر[2] بالطبع، فشخص غِلبي الهرم مقتبسٌ من مسرحية: (Madras House).

---

(1) إشارةً إلى جورج برنارد شو. (المترجم).

(2) Harley Granville Barker (1877 -1946) كاتـبٌ وباحـثٌ مسرحيٌّ إنكليزيّ. وُلِدَ في لندن وتوفي في باريس، من آثاره: The Voysey Inheritance (ميراث فويسي). (المترجم).

بائل: مسكين باركر العجوز!!

ڤون: هراء! ألا تريان الفرق في الأسلوب؟

بائل: لا!

ڤون: (بامتعاض) أتعرفان ما هو الأسلوب؟

بائل: أرى أنَّكَ تدعو الزيَّ الرسميَّ لتروتر أسلوباً، ولكنَّه ليس أسلوبي، بما أنَّكَ سألتَ.

ڤون: من الواضح عندي من كَتَبَ هذه المسرحيَّة. أولاً إنَّها مرفوضةٌ رفضاً قاطعاً؛ لذا فهي ليست من تأليف باري، بالإضافة إلى أنَّ شخص الخادم منتحلٌ من مسرحية كريشتون الرائع[1]، وكان حاصلاً على لقب إيرل[2] كما تذكر. ونلاحظ أيضاً أنَّ المؤلِّف اعتاد عادةً سيئةً في قول أشياء سخيفةً لا داعي لها، وما ذلك إلاَّ لجعل جميع الحمقى يقهقهون في البيت. ثمَّ عن ماذا نتحدَّث؟ هي محاولةٌ لفضح نفاق الطَّبقة

---

(1) The Admirable Crichton مسرحيةٌ من تأليف جيمس ماثيو باري المذكور. (المترجم).

(2) earl لقبٌ إنكليزيٌّ أدنى من مركيز وأرفع من فيوكونت. (المترجم).

المتوسطة المتزمّتة وتملّقها في إنكلترة. إضافةً إلى شخص المرأة البذيئة، فإنْ لم يَبن لك المؤلّف بعد كلّ ذلك فلا تربت يداك! وهذا كلّ ما لديّ.

بائل: لِمَ تحطّ من قدر بينرو؟ وماذا عن اللمسة التي لاحظها غَنْ؟ خطاب الفرنسيّ الطَّويل.. أرى ذلك يعود إلى شو.

غَن: هراء!

ڤون: هراء! يمكنكَ أنْ تقول ما يحلو لكَ يا بائل، غير أنَّ هناك دلالة إلى عواطف وحبٍّ فيها، فأنتَ تشعر بوجود حبٍّ كبيرٍ لبوبي في أعماق تلك الشَّريدة الضَّالة، وأنَّها ستكون زوجةً صالحةً له، وفي هذا إثباتٌ مؤكدٌ أنَّ شو عاجزٌ نفسيّاً عن كتابة مثل تلك العواطف.

بائل: أجل، أعلم.. فكرٌ من دون عواطفَ.. هذا صحيح.. قلتُ هذا دائماً. عقلٌ كبيرٌ ولكن من دون قلب.

غَن: أوه! اخرس يا بائل!! هذه السيكولوجية القاسية للقلب والعقل، والتي يسميها شكسبير

الحصافة والكبد[1]، لهي أمرٌ مدرسيٌ، وبلا ريب يكفينا شوبنهاور[2] واحدٌ، حتَّى أنَّ إبسن سيخجل منها.. قلبٌ وعقلٌ حقّاً.

ڤون: أنتَ منحطٌّ يا غَنْ؛ فلستَ هذا ولا ذاك.

غَن: منحطٌّ!! ما أحبَّ هذه الكلمة الفيكتورية على قلبي!!

ڤون: حسناً! لا يمكنكَ على كلّ حالٍ أنْ تنكر أنَّ شخوص المسرحيَّة يتميَّز الواحد منهم عن الآخر، وهذا يثبت أنَّ مؤلّفها ليس شو؛ لأنَّ جميع شخوص شو انعكاسٌ لذاته؛ دمىً تنبثق من روح شو، والممثلون هم من يجعلون ذلك يبدو مختلفاً.

بائل: لا شكَّ في هذا، لكنَّ شو لا يكتب مسرحيِّاته على أنَّها مسرحيِّات؛ لأنَّ كلّ ما يريده هو إهانة جميع من حوله، فيدفعنا للتكلّم عنه.

تروتر: وها نحن نتكلّم عنه.. باللّه عليكم! لنغيّر الموضوع.

---

(1) liver and wits. (المترجم).

(2) Schopenhauer أرتور شوبنهاور (1788 -1860) فيلسوفٌ جرمانيٌّ (ألمانيٌّ) معروفٌ بفلسفته التشاؤميّة. (المترجم).

فون: ومع ذلك، فإنَّ مقالاتي عن شو...

غَن: كفَّ يا ڤون! أرجوك! ما قلته دائماً لكم عن شو هو...

بائل: ها نحن! شو..شو..شو! اتركوا الأمر! إن كنتم تريدون معرفة رأيي بشو...

تروتر: (يصرخون جميعاً) لا! رجاءً! لا نريد! اخرس يا بائل! كفَّاً! (يضع الكونت أصابعه في أذنيه، ويفرّ من بين الثلّة إلى وراء ڤون).

ڤون:

غَن:

بائل:

تروتر: (جميعهم في الوقت نفسه) حسناً، آسف!! شو! شو! شوا!

ڤون:

غن:

(يقاطعهم دخول فاني من بين الستارتين، والدمع في عينيها).

فاني: (تأتي وتقف بين تروتر وغن) العذر منكم أيها السادة! كانت المسرحيَّة ناجحة جداً عندما قرأتها أمام المجتمع الفابي في كامبردج.

تروتر: آنستي! كنتُ على وشك أنْ أقول لأولئك السَّادة، وقبل أنْ تُسدل السَّتائر، إنَّكِ مؤلّفة المسرحيَّة.

فاني: ورأيكم جميعاً بها مجحف قاس، فقد كرهتموها، وتظنون أنَّني حمقاء بالغة الحماقة، وأنَّني لا أستطيع كتابة مسرحية لائقة. (تكاد تبكي، فتغشى النّقاد موجة من التعاطف).

فون: لا، لا.. العجب العجب! كنتُ! أقول منذ لحظات أنّ مؤلّفها بينيرو، أليس كذلك يا غَن؟

فاني: (تشعر بإطراء كبير) حقاً!!؟

تروتر: ظننتُ أنَّ بينيرو كان شعبياً جداً بالنسبة إلى المجتمع الفاني في كامبردج.

فاني: صحيح.. ألم تقل ذلك؟

غَن: أدين لكِ بعذرٍ يا آنستي؛ فأنا قلتُ أنَّها من تأليف باركر.

فاني: (تبتهج ابتهاجاً عظيماً) غرانفيل باركر! أتراها حقاً جميلةً هكذا.

بائل: أمَّا أنا فقلتُ أنّها لبرناردشو.

فاني: بالطبع تشبه مؤلفات برنارد شو قليلاً؛ اللمسة الفابية كما تعلم.

بائل: (يتقدم نحوها بشجاعة) إنها مسرحية جيدة يا آنسة، وتذكّري أنني لم أقل إنها مثل أعمال شكسبير، ولكنّها عملٌ جميلٌ. (يصافحها)

غَن: (يحذو حذو بائل) وأنا أيضاً يا آنسة.. مسرحيةٌ رائعة، لافتة للانتباه. (يصافحها).

فون: (برزانةٍ وهدوءٍ) اصدقي مع نفسكِ يا آنسة، وكفّي عن المزاح السخيف، وحافظي على لمسة الحب والعاطفة، وستكتبين كتابة عظيمة.

فاني: أتظن أنه لدي مستقبل في الكتابة؟

تروتر: لديكِ ماضٍ يا آنسة.

فاني: (تنظر إلى والدها بقلق) هششششْ!

الكونت: ماضٍ! ماذا تعني يا سيد؟

تروتر: (إلى فاني) لا يمكنكِ خداعي، فالجزء في المسرحيَّة الَّذي يتحدث عن الشرطة صحيحٌ.. أنتِ مؤيدة لحق المرأة في الاقتراع يا آنسة، وكنتِ في السّجن.

الكونت: أصحيحٌ هذا يا فاني؟

فاني: صحيح، حكموا عليَّ بالسجن شهراً قضيته

مع السَّيِّدة كونستانس ليتون، وأنا أفخر بذلك أكثر من أي شيءٍ آخر مضى، أو سيأتي.

تروتر: ألهذا أي علاقةٍ بأنَّكِ قدَّمتِ لي مسرحية مبتذلة؟

فاني: كي تشعر بمرارة الإجبار.

الكونت: لن تعود إلى البندقية أبداً. أشعر الآن شعور من يسقط عليه صرحٌ عالٍ. (يدخل ساڤويارد من بين الستارتين).

ساڤويارد: (إلى الكونت) أيمكن أن تأتي وتهنئ الشركة ولو بكلمة؟ فهم منزعجون لأن أحداً لم يخبرهم بوقت فتح الستائر.

الكونت: بالطبع، بالطبع! أخشى أنني كنتُ مهملاً لهم قليلاً .. لنذهب إلى خشبة المسرح أيّها السَّادة.

(تُسحب الستائر، فيظهر الممثلون. الكونت، وساڤويارد، والنقّاد، وتنضم إليهم فاني ويصافح الجميع بعضهم بعضاً مهنئين).

الكونت: مهما كان رأينا في المسرحيَّة أيّها السَّادة، فأنا على يقينٍ بأنَّكم توافقونني الرأي أنّ هناك رأياً واحداً يؤخذ به.

النقَّاد: اسمع! اسمع! (يبدأ النظّارة بالتهليل والتصفيق).

المحتوى

شَخْصِيَّات المسرحيَّة الرَّئيسيَّة.....5
شَخْصِيّات مَسْرَحِيَّةُ فَانِي.....7
تصدير المسرحيَّة.....9
الفصل الأوَّل من مسرحيّة فاني 45
الفصل الثَّاني من مسرحيّة فاني 70
الفصل الثَّالث من مسرحيّة فاني.....94
خاتمة المسرحيَّة.....155

أول مسرحيات فاني – برناردشو / ترجمة حسين تقي سنبلي.
– دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2019. – 169 ص؛ 20سم.
– (سلسلة الترجمة؛ 4).

1- 822 إن ش و أ 2- العنوان 3- شو 4- سنبلي
5- السلسلة

مكتبة الأسد